

مَنشوراتُ الجَامِعةِ اللبْنانيَّةِ

قِسْمُ الدِّرَاسَاتِ التَّارِيخِيَّةِ

٥

عَرَبٌ فِي الكِنَانِيسِ

للدكتور أسد رستم
أحد أساتذة التاريخ في جامعة اللبنانية

وُضِعَ مُوافَقاً لانعقاد مؤتمر الباحثين البيزنطية في
دورته الحادية عشرة ١٥ إلى ٢٠ أيار ١٩٥٨



LIBRARY
MAY 15 1964
OF CALIFORNIA
S ANGELES

بيروت - ١٩٥٨

مَنشوراتُ الجَامِعةِ اللُّبْنانيَّةِ
قِسْمُ الدِّرَاساتِ التَّاريخيَّةِ

٥

عَرَبُ فِي الكِنائِيسِ

للدكتور أسد رستم
أستاذة التاريخ في الجامعة اللبنانية

وُضِعَ مُوافَقاً لانهقاد مؤتمر الباحث البيزنطية في
دورته الحادية عشرة ١٥ إلى ٢٠ أيلول ١٩٥٨



بيروت - ١٩٥٨

الفصل الاول

الرسوم والصور والابفونات في القرون الاولى

واظب المؤمنون بادئ ذي بدء على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز
الرهيبكل والبيت: والصلاوات ولازموا الهيكل بنفس واحدة ولكنهم « كسروا الخبز» اي
الافخارستيا في البيوت^(١). ولما كان كسر الخبز هو العلامة الفارقة بين المسيحيين الاولين
وبين اليهود جاز لنا القول ان المعبد المسيحي الاول قام في بيوت المؤمنين .

وظل البيت المعبد الاول مدة من الزمن لا نستطيع تحديدها بالضبط . ثم قبل النعمة
اشراف واغنياء فانتست بيوتهم وقصورهم للاعداد المتزايدة من المؤمنين . ووافقت هندسة
هذه القصور ظرف العبادة . فكان لكل قصر دار فسيحة يحيط بها رواق معد فحرف
للاكل والجلوس تفتح ابوابها على الرواق والدار . فتمكن الآباء من فصل الموعوظين عن
المؤمنين عند الحاجة ومن فرز النساء عن الرجال ومن تخصيص مكان معين للآباء والشامسة .

وهو لفظ يوناني مركب cata cubos معناه الموضع حيث يحرق الميت او
الكناكوم : التراب الذي يركم على رماده او رفاته . ثم اطلق على المرقد والقبر والمدفن .
ولما الاقدمون في مصر وفينيقية الى المغاور الطبيعية لدفن الموتى ثم حفروا هذه المغاور تحت
الارض ونقروها في الصخور . ونقل الاتروسكيون هذه العادة الى ايطالية فشاعت فيها .
ودعت هذه المدافن في ايطالية كناكومات .

(١) سفر اعمال الرسل ٢: ٤٢ و ٤٦

وثابر المسيحيون الامميون على عادات الامم التي انتموا اليها في ملابسهم وماكلهم وافراحهم واحزائهم^(١) فدفنوا موتاهم في بعض اماكن من القرب في الكتاكومات وفي الشرق فوق الارض^(٢). وزين المصريون والفينيقيون واليونانيون والاتروسكيون والرومانيون مدافنهم ولا سيما الكتاكومات فزين المسيحيون كتاكوماتهم. واستعانوا لهذه الغاية بالرسمين انفسهم الذين تخصصوا في هذا النوع من الفن ومارسوه في تزيين مدافن الوثنيين. واتبع هؤلاء الرسامون التقاليد الفنية الهلينية فعمدوا الى الخطوط الهندسية الانيقة الظريفة والى الاواني والزهور والطيور. وخلدوا في بعض الاحيان مشاهد معينة من حياة الميت المدفون.

وظفت قلوب المؤمنين في القرون الثلاثة الاولى بالرجاء وقرب اللقاء **التصوير الربوبي**: ففقدوا في جدران الكتاكومات كنائس صغيرة و اضافوا الى الرسوم التقليدية رسوماً دينية مسيحية. وضوا يوقار السيد وجلاله وتوجسوا من الوثنيين واليهود خوفاً فاكتفوا بالرموز. واستوحوا مشاهدهم الدينية من امثال السيد فجعلوه في رسومهم راعياً صالحاً لا يختلف في مظهره عن الاله اليوناني الروماني هرميس كريفوروس Hermes Criophoros حامل الكبش. وأظهروه في بعض الاحيان بمظهر اورفيوس Orpheios المغني اليوناني الذي كان يزيح الصخور والجيال بعزفه «الذي نزل الى الجحيم وصعد منها» واثرأوا فيما يظهر الامراة المصلية ذات العينين المتجهتين نحو العلا والذراعين المرتفعين الشاكرة الطالبة الرحمة. واستعان هؤلاء المسيحيون بالطاوس الوثني للتدليل على الخلود. وبالعنقا. phoinix للإشارة الى القيامة وبالحماسة طير إلهة الحب للتذكير بالروح القدس او بالنفس. ثم أدخلوا بعض الرموز ادخالاً منها الدر فيل الملفوف حول الحطاف المثلث وفيه اشارة ظاهرة الى الصليب ومنها ايضاً حرف Tau اليوناني وفيه رمز الى سر الفداء. ومنها السمكة ولفظها اليوناني يجمع الحروف الاولى من كلمات الآية «يسوع المسيح ابن الله المخلص».

وقال السيد: «تاتي ساعة حين يسمع الامرات صوت ابن الله والسامعون **التعب في الكناكوم**: ينجون». وقال بولس ان ما يزرعه المؤمنون لا يجيا الا اذا مات وان ما يزرعونه هو حبة من الخنطة يوتيتها الله جسماً على ما يريد^(٣). فاحترم المؤمنون موتاهم وقاموا بزيارة قبورهم وصلوا وتناولوا طعاماً. وعصفت بهم انواع الاضطهاد من آن الى آخر

(١) *Lettre à Diogène, Argentoratensis, I, 4; Tertullianus, Apologeticum, 42.*

(٢) ZEILLER, J., *La Vie Chrétienne aux Deux Premiers Siècles*; FLICHE et MARTIN, *Hist. de l'Eglise, I, 411-412.*

(٣) رسالة بولس الاولى الى اهل كورنثوس ١٥: ٣٥-٣٨

فدفعتهم الى الصلاة عند القبور لينالوا المعونة وليلجأوا الى اماكن مقدسة في عرف الدولة لا يجوز العبث مجرمتها .

ولم يكتفِ المؤمنون بمجرد الزيارة وتقديم الصلاة في الكناكومات بل انهم نقروا في صخورها كبلات صغيرة اجروا فيها طقوس العبادة . وكانت هذه الكبلات مستطيلات مربعة تقابل مداخلها حنيات من النوع الذي نشيد اليوم وراء الموائد المقدسة . وبدأ المسيحيون في القرن الثاني يشيدون الكنائس على سطح الارض ايضاً . ودليلنا على ذلك صدور الاوامر بهدم الكنائس والثور على بقايا بعضها . واشهر هذه واقدمها كنيسة الصالحية على الفرات التي كشف التراب عنها علماء جامعة ياييل الاميريكية منذ عشرين سنة .

بقومات الكناكومات : ومنذ ان بدأ المؤمنون بالتعبد في الكناكومات بدأوا فيما يظهر يرسمون رسوماً دينية تعرض ديني معين هو تذكير المؤمنين بالعقائد الاساسية وتقريبها من مفهوم الجمهور بصور واضحة ناطقة بجد ذاتها . فرسموا منذ نهاية القرن الثاني المسيح والعدراء ودانيال في جب الاسود ونوح في فلكه وابراهيم في محرقة . وبدأت تظهر صور آدم وحواء وصور المعمودية وقيامة ليعازر ولقاء المسيح بالسامرية وشفاء النازفة وعرس قانا الجليل وغير ذلك ^(١) . ويرى العالم الالماني بولس ستينغر ان كناكومات القرن الثاني تعود الى القرن الثالث او الرابع وان صورها ورموزها وثنية لا تمت الى المسيحية بصلة . وهو قول ضعيف لا يقبله جمهور العلماء ورجال الاختصاص ^(٢) .

كنيسة الصالحية : واقدم آثار الكنائس الخاضعة لاطاكية ما عثر عليه علماء جامعة ياييل الاميريكية وعلماء اكاديمية النقوش والاداب الافرنسية في الصالحية دورة اوروبوس القديمة . وكنيسة الصالحية هذه انشئت فيما يظهر عند نهاية القرن الثاني . وهي غرفة كبيرة مستطيلة من غرف بيت كبير بالقرب من احد ابراج المدينة . وكان يدخل اليها من صحن البيت لا من الشارع .

وابرز ما في هذه الكنيسة حنيتها وصورها . اما الحنية التي كانت قبلة انظار المصلين فانها قامت في جدار الكنيسة الغربي وفوق جرن للمعمودية . واما الصور فانها زينت الجدران وذكرت المؤمنين بعجائب السيد كقيام المقعد المشي على الماء . وبجواثب الهدين الجديد والتقديم كقصه آدم وحواء . ومثل الراعي الصالح والنسوة عند القبر وداود وجليات الجبار والامرأة السامرية .

WILPERT, Mgr., *Die Malereien der Katakomben Roms.*; ELLIGER W. *Zur Entstehung (١) und Fruhen Entwicklung der Altchristlichen Bildkunst.*

STYGER, P., *Die Romischen Katakomben*, Berlin, 1933. (٢)

والتقوش الكتابية يونانية وقد نصت احداها : « احفظوا المسيح » والثانية والثالثة : « واذكروا سييسوس الحقيّر »^(١).

الناووس معرّب ناؤوس باليونانية معناه عند الفقهاء مقبرة النصارى .
النواويس وتزويها : ومنه قولهم النواويس اذا خربت قبل الاسلام جاز اخذ ترايبها للسباد .
 والناووس تلبوت من حجر تجمل فيه جثة الميت . ويقابله عند علماء الفرنجة اللفظ اليوناني المركب سر كوفاغوس ومعناه الحرفي اكل اللحم . والاشارة الى نوع من الحجر اعتبره اليونانيون القديما . قادراً على اكل جثث الموتى .

وأجاز المسيحيون الاولون الدفن بالنواويس وابتاعوا ما وجدوه معداً للبيع منها . ولكنهم آثروا في انتقاء نواويسهم ما جاء خالياً من رسوم البشر الناتئة ورسوم الحيوانات عاملين بنص الوصية لا تصنع لك منحوتاً ولا صورة شي . . واكتفوا بالمخطط منها تحطيظاً .
 ثم جاء القرن الثالث فاذا بالمؤمنين يجيزون بعض الرسوم الناتئة كرم الراعي الصالح حاملاً الكبش على كتفيه او رسمة ناظرًا الى الامراة المصلية . واجازوا ايضاً رسم هامة الرسل بطرس حاملاً كبشاً يحيط به عدد من الرعاة . وجاء ايضاً رسم بولس وتوما وفيليبوس والحبشي ورسوم المعمودية والعشاء الرباني^(٢) .

وفك قسطنطين القيود (٣١٣) وساوى بين النصرانية والوثنية وعطف على **قطعة الانطاوق** : النصارى . فانطلقوا احراراً بعد كبت دام طويلاً . وراحوا يتبارون في تشييد الكنائس وتزيينها . واستبشع البعض الجدران الخاوية وانقبضت منها نفوسهم . فعمدوا الى تزيينها وحاولوا ان يجمعوا بين الزينة والفائدة فجعلوا من جدران الكنائس الجديدة توراةً والنميجلاً مصورين تصويراً . فبدأوا يحنه عدن وانتقلوا منها الى بلوطة ممره وقبر سارة ولقاء يوسف باخوته فموسى والشريمة فييت راحاب فسبي اسرائيل فبشارة مريم فقيامه ليعازر فالآم السيد فوته فقيامته فصعوده . وكتبوا تحت هذه التصاوير عبارات تبين مواضعها^(٣) . وتم كشف اللثام عن المعيا فبرغ وجه السيد مشرقاً . واحتل شخصه نقطة الدائرة في فن

ROSTOVITZEFF, M.I., *The Excavations at Dura-Europos, Fifth Season, 1931-1932*, 237-285. (١)

WILPERT, J., *Sarcophagi Christiani Antichi*, I, Pl. I f.; RAMSAY, Sir William, *Studies in the History and Art of the Eastern Provinces*, Pl. I. (٢)

GREGOIRE DE NYSSÉ, P.G., Vol. 46, Col. 737; GREGOIRE DE NAZIANCE, P.G., Vol. 35, Col. 1037; BREHIER, L., *Art Chrétien*, 107. (٣)

جديد^(١) . واستعان رجال الفن من المسيحيين بالفيسفساء الملونة وسبقت رومة غيرها ، فيما يظهر ، في هذا المضمار فانتج رجالها في عهد البابا سيريقوس (٣٨٤-٣٩٩) فسيفساء كنيسة القديسة بودنسية التي تعد بحق اولى روائع الفن المسيحي^(٢) .

وما كاد رجال هذا الفن ينطلقون الى العمل والاخراج حتى انبرى لمقاومتهم **براء المعارض** : عدد من كبار الآباء ورجال الدين . واشتدت المقاومة في اسبانية فاتخذ مجمع إلفيرة قراراً في حوالي السنة ٣٠٠ حرم به وجود الصور في الكنائس كي لا يرسم على الجدران من يكرم ويعبد^(٣) .

ولم يرض افسابيوس اسقف قيصرية فلسطين († ٣٤٠) عن هذا التزين والتزيق ورأى في تعليق الصور واقامة التماثيل بدعة وضلالاً . وهو يذكر لهذه المناسبة تماثل السيد في بانياس فيقول ان تلك التي دنت من وراء السيد ومست هذب ردائه فبرئت كانت من بانياس فينيقية . فلما عادت الى بلدتها أقامت امام بيتها تماثيل من النحاس احدهما يمثل امرأة جاثية مادة يديها متضرعة والآخر يمثل السيد واقفاً ناظراً اليها ماداً يده نحوها . يعلق افسابيوس فيذكر ان هذين التماثلين كانا لا يزالان قائمين في عصره وان النبات عند قدمي تماثل السيد كان يشفي جميع الامراض^(٤) . وكتب هذا الاسقف الى قسطندية ابنة قسطنطين محتجاً على جراءة اولئك الذين يعلقون صورة الجوهر الالهي الروحي^(٥) . واشترك في هذه المعارضة في هذا القرن الرابع استديوس اسقف اماسية البونط فاحتج على التطرف في تزيين الكنائس^(٦) . ولعل القديس ابيفانيوس لم يرض هو ايضاً عن ادخال الصور الى العابد^(٧) .

اما باسيلوس الكبير وغيغوريوس النيسي فانها استصوبا الاستعانة بالتصوير فقال الاول :

(١) LECLERCQ, *Nimbe, Dict. Arch. Chrét.* (١)

(٢) LABRIOLLE, P., *Culture Chrétienne*; FLICHE et MARTIN, *Hist. de l'Église*, III, 435. (٢)

(٣) HEFELE-LECLERCQ, *Hist. des Conciles*, I, 240, n. 4. (٣)

(٤) EUSEBE, *Hist. Ecc.*, VII, 18. (٤)

(٥) *Mansi*, XIII, Col. 313, 317; *Pitra, Spicil. Sol.*, I, 383 ff. (٥)

(٦) *Hom. de divite et Lazaro*; in *Laudem S. Euphemiae*. (٦)

(٧) *Mansi*, XIII, Col. 291, 335. (٧)

وما يعجز التاريخ عن تعليقه بالساع يقربه التصوير الصامت بالقدوة والمثال^(١). وقال غريغوريوس واصفاً الكنيسة التي شيدت على اسم الشهيد ثيودوروس : لقد تمكن الفنان من اظهار اعمال هذا الشهيد وآلامه بفنه الملون كأنه يكتب بلسان. فالتصوير الصامت يتكلم على الجدران فيقلم اكبر الخدمات . وذلك الذي ضم الحجارة بالفيسفاس. جعل الارض التي نطاً بارجلنا جديرة بالتاريخ^(٢). والجدير بالذكر لمناسبة الاشارة الى الفيسفاس. ان هذه الصناعة الفنية تقدمت تقدماً ملموساً في القرن الرابع وشاعت في رومة وتوابعها فزينت جدران الكنائس وارضها . واروع ما صنع منها في هذا القرن مشهد المسيح محاطاً ببطرس وبولس وسائر الرسل في باسيليقة القديسة برودنسية التي شيدت في عهد البابا سيريقوس (٣٨٤-٣٩٩)^(٣).

في القرنين الخامس والسادس : والغريب في التصوير الكنسي في القرنين الخامس والسادس ان المصورين استوحوا بعض مواضعهم وتفصيلها من اناجيل الابوقريفة . وهو امر ذوبال يوضح ، كما سنرى في حينه ، نوعاً معيناً من انواع المقاومة^(٤) . ومن مميزات التصوير في هذين القرنين الاهتمام الشديد ، بعد مجمع افسس ، بتصوير العذراء ملكة السموات اما وحدها او محاطة بالرسل او حاملة بين ذراعها الطفل يسوع . ومن مميزات هذا العصر ايضاً تصوير الملائكة شباناً باجنحة على طراز تاتسيل النصر الوثنية . وانجز ديونيسيوس الايوباعي الكاذب في مستهل القرن السادس رايه الخيالي في الهيرارخية السماوية فأوحى بذلك بعض مشاهد الظفر في صور هذا العصر^(٥) .

وأصبح بناء الكنيسة في القرن السادس قصر المسيح . فأخذ المهندسون والرسامون وسائر الفنانين عن قصور الاباطرة مخططاتها وطرق تشييدها واعمدتها وسقوفها وبلاطها وآيتها وألبتها . وظهر بعض القديسين والشهداء بعبّات كبار رجال البلاط الفاخرة الزاهية^(٦) .

الصور المخصوصة : وأقدم المؤمنون منذ تحرر النصرانية على اقتناء صور صغيرة تمثل المسيح او العذراء او القديسين. واشتدت عنايتهم بهذه الصور وتعلقوا بها. ومن

Hom. XIX. (١)

Pat. Gr., Vol. 46, Col. 757; Epist. CV. (٢)

Mosaïque, Dict. Arch. Chrét. et de Liturgie. (٣)

BREHIER, L., Art Chrétien, 61, 98; GRISAR, H., Hist. de Rome et des Papes, I, 272. (٤)

LABRIOLLE, P., Culture Chrétienne; FLICHE et MARTIN, IV, 575-576. (٥)

BREHIER, L. et BATIFFOL, P., Les Survivances du Culte Impérial Romain, Paris, 1920; (٦)

GRABAR, A., L'Empereur dans l'Art Byzantin, Paris, 1936.

هنا اهتمت قسطنطية اخت قسطنطين برسم صورة المسيح عن صورة سمعت بوجودها . ومن هنا ايضاً ابتهاج أبجر ملك الرها بصورة المسيح التي رسمها حنّان له واعتناؤه بها وحفظه لها في محل لائق بمقامها في قصره^(١) . واقدم ما تبقى من هذه الصور الحصوصية الصغيرة ما وجد في دير القديسة كاترينة في سيناء . وحفظ بعدئذ في متحف اكاديمية كيف الكنسي . وهي صور رسمت على لوحات من الحشب صغيرة بالوان شمعية تمثل المسيح او العذراء او يوحنا المعمدان او القديسين سرجيوس وباخوس او غيرهم من الشهداء^(٢) .

الكرام الصور : ولعل الكاروكراتين الغنوسيين المسيحيين سبقوا غيرهم الى اكرام صورة المسيح والسجود لها وذلك في النصف الثاني من القرن الثاني . ولكنهم تمشوا في ذلك على طرق الوثنيين . فانهم لم يكتفوا بالاكرام والسجود بل مارسوا امام صورة المسيح وقائيله المتوجة طقوساً وثنية معروفة^(٣) .

ثم جاء القرن الرابع بزهاده القديسين وعجايبهم فبدأ المؤمنون يتبركون بذخائر من خصّهم الله بروح منه . وكان بين هذه الذخائر صور الزهاد انفسهم مبصومة على لوحات من الطوب أعددها القديسون انفسهم من الغبار الذي احاط بهم ومن عرق اجسادهم او ما شاكل ذلك . فأكرم المؤمنون هذه الذخائر واعتبروها متوشحة بروح الله الذي حلّ على من صنعها . وشغل اكرام المؤمنين كذلك الصور التي لم ترسمها يد بشرية وانما انطبعت انطباعاً على قطعة من القماش او غير ذلك لاصقت وجه القديس . ومن الذخائر العجايبية التي شاعت في هذا العصر جثث القديسين او اثوابهم او تراب الارض التي جرت عليها حوادث مقدسة . واذا حفظت هذه الذخائر في صناديق معينة ورسمت على هذه الصناديق صور محتوياتها انتقلت قداسة المحتويات الى الصور اللاصقة بها . وهكذا اصبحت الصور مقدسة لاتصالها المباشر اما بالقديسين انفسهم او بذخائرهم واصبحت آنية لقوة الله . ثم تطور هذا القول مع مرور الزمن فشمل كل صورة مقدسة ، كل ايقونة ، سواء ألاصقت قديساً ام لا تلاصقه^(٤) . وعم هذا القول جميع

Patr. Gr., Vol. 20, Col. 1545-1550; *FLOROVSKII, G., Origen, Eusebius, and the Iconoclastic Controversy, Church History*, 1950, 77-96; *Doctrina Addai, DOBSCHUTZ, Christusbilder*, 171. (١)

SOTIRIU, G.A., Theotokos Enthroned, Bnull. Corresp. Hellen., 1946, 552-556; *Mélanges Grégoire*, 607-610. (٢)

DOBSCHUTZ, Christusbilder, 98. (٣)

GRABAR, A., Martyrium, II, 343-357; *HOLK, K., Der Anteil der Styliten am Aufkommen der Bilderverehrung, Gesammelte Aufsätze zur Kirchengeschichte, II*, 388-398; *DOBSCHUTZ, Christusbilder*, 277-279. (٤)

الكنائس ولم يشذ النساطرة كما يرتأي العالم الالمانى كارل هول في كتابه المشار اليه في الهامش . فقد اوضح لورانس براون ان النساطرة لم يتزعوا الايقونات من كنائسهم قبل العصور الحديثة^(١) .

وليس في ما تبقى من آثار قسطنطين الكبير وخلفائه ما يدل على **الاباطرة والابفونات** : استعمال الايقونات بشكل حكومي رسمي . وجل ما هنالك ان قسطنطين وخلفاءه اتخذوا من الصليب الذي ظهر لقسطنطين شارةً لنصرهم وسلطتهم . وحاولت قسطنطية بنت قسطنطين كما سبق وأشرنا ان تقتني صورة السيد بواسطة افسايوس اسقف قيصرية فلسطين فجاء رد هذا الاسقف مانعاً محرماً . وعلى الرغم مما جاء في رسائل البطارقة الى ثيوفيلوس^(٢) وما اوردته بعض المراجع المتأخرة فانه لا يجوز افتراض ظهور صورة السيد على مسكوكات هؤلاء الاباطرة^(٣) .

واقدم رسوم السيد المخلص في آثار الاباطرة ما جاء على دفتي ذبتيخة يوستينوس الفتى التي صنعت في السنة ٥٤٠ . فقد جاء على كل دفعة من دفتي هذه الذبتيخة رسم السيد قائماً بين رسمي يوستينانوس وثيودورة^(٤) . ويجيء بعد هذا رسم السيد على ذبتيخة بربريني . وهي في الارجح ذبتيخة امبراطورية صنعت للامبراطور يوستينانوس في حوالي السنة ٥٥٠^(٥) .

ورأى الروم في الحرب الفارسية حرباً مقدسة . فقد جاء لبروكوبيوس مؤرخ يوستينانوس في كلامه عن حوادث السنة ٥٤٤ بان كسرى ملك الفرس قاوم الله اله المسيحيين لا يوستينانوس^(٦) . وجاء في حوليات بسكال عن نهاية هذه الحرب في عهد هرقل في السنة ٦٢٨ ان كسرى المتكبر المتعجب كان قد ثار على المسيح وانه الثيوماخوس « محارب الله » والثيوميسيتوس « مبغض الله » وان جيوش « محبي المسيح » رموا به الى الهاوية ومحا ذكره^(٧) .

BROWNE, L.E., *The Eclipse of Christianity in Asia*, 79 f. (١)

P.G., Vol.95, Col. 384. (٢)

MAURICE, J., *Numismatique Constantinienne*, II, 256 f. (٣)

GRABAR, A., *Iconoclasme Byzantin*, 18, 24. (٤)

DELBRUECK, R., *Die Consulardptychen und Verwandte Denkmaler*, 188; BAYNES and

Moss, *Byzantium*, Pl. 37.

De Bello Persico (Bonn) I, 205. (٦)

Chronique Pascale, 728. (٧)

ورصع هرقل بياناته الرسمية بعبارات من المزامير وجعل اعداءه الفرس اعداء السيد . وأوجب جاورجيوس بيسيديس شاعر القصر محق ديانة الفرس لانها كاذبة باطلة ودعا للنصرانية لانها دين الحق . ورأى في جيش هرقل العدالة نفسها زاحفة ضد الشر^(١) .

وفي غمرة هذا الحماس الديني وهذه الحرب بين دين المسيح ودين زرادشت اضاف طياريوس الثاني (٥٧٨-٥٨٢) اسم قسطنطين الى اسمه ولجأ الى الصليب المقدس فضربه على مسكوكاته الذهبية فوق درجات النصر وضربه على مسكوكاته الفضية مكللاً^(٢) . وارفقه بالعبارة Lux Mundi مذكراً برائد الدولة المسكوني . وظل الصليب مضروباً على مسكوكات الروم اعواماً طويلاً . ولم يستغن عنه احد من خلفاء طياريوس الارثوذكسين او المحطمين .

ثم لجأ موريقوس الى منديل السيد في الرها فحمله عالياً في موقعة ارزامون^(٣) . وفي السنة ٦٢٢ عاد هرقل الى هذا المنديل نفسه فرفعه بيديه وأظهره لجنوده قبيل الرحف على الفرس^(٤) . وأصبح المنديل شارة النصر وعنوان عناية المسيح بشعبه فاستوجب كل تقدير واحترام واكرام . ولجأ موريقوس ايضاً الى صورة السيدة والدة الاله في اختتام الدولة فأحلها على صورة النصر الوثنية التي كانت لا تزال محفورة على هذه الاختتام^(٥) . وجاء يوستينيانوس الثاني (٦٨٥-٦٩٥ و ٧٠٥-٧١١) فأكمل احترام الايقونات الرسمي بضرها على مسكوكاته^(٦) .

GEORGES PISIDES, *De Expeditione Persica*, P.G., Vol. 92, Col. 1197 f., 1302, 1314-1315. (١)

GRABAR, A., *op. cit.*, 28, n. 2. (٢)

Theophyl. Samokatta, Hist. (de Boor), 73; DOBSCHUTZ, E. von, *Christusbilder*, 127. (٣)

Georges PISIDES, *Exp. Per.*, P.G., Vol. 92, Col. 1207-1208. (٤)

GRABAR, A., *op. cit.*, 34-35. (٥)

Ibid., 36-45. (٦)

٧٠٥ . وكان قد عوّل الا يفعل شيئاً الا ان يثار لانفه المبتور . فقطع رأسي لاونديوس وطباريوس وسمل عيني البطريك ووضع كثيرين من الوجاه في اكياس وأغرقهم في البوسفور . وفي السنة ٧١١ ثار فيليببيكوس البرداني فقتل يوستينيانوس وابنه . ولكنه لم يكن سوى رجل لهو ولذة فقضى وقته (٧١١-٧١٣) منصرفاً الى المتع . وكان من اصحاب المشيئة الواحدة فغزل البطريك كيروس واقام يوحنا السادس بطريكاً محله . ثم اتفق قائدان فغزلا فيليببيكوس . واقام الشعب رئيس كتاب القصر فيسيلفياً باسم انسطاسيوس الثاني . فضبط زمام الملك وغزل البطريك يوحنا السادس واقام جومانوس عوضه . ولكن في السنة ٧١٦ تمرد الجنيد واعلنوا خلعه ونادواو بثيودوسيوس الثالث فيسيلفياً .

لاورثه الثالث والامويون : (٧١٧-٧٤٠) وكان البلغاريون والمسلمون في اثناء هذا كله يغزون ولايات الحدود كل من صوبه . وكانت غزواتهم تزداد حدة وتوغلاً . ولكن الروم انجبوا لاوون الاسوري رجل الساعة . فتبوأ العرش برضى ثيودوسيوس الثالث وموافقة البطريك ومجلس الشيوخ . وكان سليمان بن عبد الملك الخليفة الاموي (٧١٥-٧١٧) يحسب انه هو المقصود بالحديث القائل ان خليفة يحمل اسم نبي سيفتح القسطنطينية . فجيش جيشاً عظيماً بقيادة مسلة وأعد اسطولاً كبيراً عقد لواءه لوزيره سليمان . فقام مسلة من طرسوس الى الدردنيل والتقى في أبيدوس بسليمان وعمارته . وقطع المسلمون الدردنيل وزحفوا على القسطنطينية برأ . وقامت عمارتهم بالعمل نفسه من البحر . واعتمد مسلة على تجويع المدينة ولكن لاوون كان قد حسب لهذا المحذور . اما مسلة فانه لم يحسب الحساب لشتاء قارس . وجاء شتاء السنة ٧١٧-٧١٨ بثلج دام ثلاثة اشهر . فمات عدد كبير من جنود مسلة بالبرد ودا . الزحار . ثم جاء البلغاريون من الورا . فقتلوا من المسلمين عشرين ألفاً . وتسلفت سفن النار الرومية الى مرسى الاسطول المصري فاحرقته . فتراجع مسلة بعد ان فقد معظم جيشه . وتعرض الباقي من عمارته لعاصفة في بحر ايجيه فلم يعد الى شواطئ الشام سوى خمس سفن فقط . وكانت محاولة مسلة الاخيرة من نوعها في تاريخ الخلفاء الامويين فلم يتسن لهم بعدها الدخول الى اوروبة الشرقية . بيد ان غزوات المسلمين لم تنته عند الفشل الذي حل بهم حول اسوار القسطنطينية . فقد اغاروا في السنة ٧٢٥ على قبدوقية وهددوا نيقية . وفي السنة ٧٣٧ عادوا الى الحرب وبلغوا تيانة فضربوا عليها الحصار في السنة ٧٣٩ . ولكنهم فشلوا فشلاً ذريعاً في يوم اكروينون . ووافق هذا كله ظهور الحُرر في اقصى الشمال فاستغل لاوون هذا العنصر الجديد لصالح الدولة وتعاون مع الحُرر

وأزوج ابنه قسطنطين من ايرينة ابنة خاقان الخزر فهدد الدولة الاسلامية في اذربيجان في حدودها الشرقية الشمالية .

وأحب لاوون ان يأمن شر الفوضى التي كانت قد انتشرت لاوونه والاستقرار في الداهل : في الدولة قبيل وصوله الى الحكم . ف ضرب بيد من حديد ستراتييجوس صقلية وانسطاسيوس الثاني وأشرك ابنه قسطنطين في الملك منذ ولادته . وعني بال جيش وأعاد النظر في الثيات على ضوء السياسة الداخلية ولا سيما في آسية . وكانت الاوبئة وهجمات البرابرة قد أنقصت عدد الفلاحين في الريف وعدد السكان في العاصمة نفسها وفي غيرها فنقل اليها جميعا شرقيين من مناطق الحدود الجنوبية والشرقية الاسيوية .

ورأى ان القوانين والانظمة اصبحت تفتقر الى اعادة نظر وتعديل وان اللغة اليونانية باتت لغة السكان الوحيدة فانتهى في السنة ٧٢٦ لجنة من كبار رجال القانون لاعادة النظر في قوانين يوستينيانوس اللاتينية واصطفا المفيد منها وتحسينه ووضعها باليونانية . وأطلق على مجموعته هذه اسم الاكلوغة ومعناه المنتخبات . وحضّ القضاة على التجرد من العاطفة وعلى الحكم بالمقل والعدل وعلى احترام حقوق الفقراء . والمساكين . واستمد من العرف الذي ساد الاوساط الريفية الذي لم تشمله الاكلوغة فاشترع قانوناً للزارعين .

وأدى نزوح لاوون الى الاستقرار واندفاعه في سبيله الى النظر في أمر لاوونه واليهود : اليهود الذين حرموا المساواة في الحقوق مع النصارى فشكروا من مرگب نقص داووه بانتقاد النصارى والنصرانية . وشاركهم في هذا الانتقاد بقية باقية من اتباع موانتانوس الافريجي الذي طالب بالعودة الى نصرانية القرن الاول وتطبيق الناموس كما نصت عليه الاسفار العتيقة . وخشي لاوون ، فيما يظهر هذه الروح الهدامة وما قد يتأتى عنها من مرگب خيبة وانهازم فأمر في السنة ٧٢٢ بوجوب تنصر اليهود والمونتانيين^(١) .

امس التعریم والتخليم : وقال فيليبكوس البرداني (٧١١-٧١٣) الارمني بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة . فلما تسنم عرش الفسالة بعث قضية المشيئة الواحدة من قبرها بعد ان مضى على دفنها ثلاثون عاماً فنبذ قرارات المجمع المسكوني السادس (٦٨١) وأعلن القول بالمشيئة الواحدة قولاً ارثوذكسياً قوياً . ثم حطم صورة المجمع المسكوني

DOLGER, F., *Regesten der Kaiserurkunden des Ostromischen Reiches*, 286; THEOPHANES, (١)

Chronographia, a. 6214; OSTROGORSKY, G., *Hist. of Byz. State*, 142; STARR, J., *The*

Jews in the Byzantine Empire, Athens, 1939.

السادس التي قامت في القصر المقدس وطمس الكتابة التذكارية التي كانت قد نقشت فوق مدخل المليون Million تخليداً لاعمال المجمع السادس وأمر برسم شخصه الامبراطوري وشخص سرجيوس البطريك على جدار القصر^(١). وفي مطلع السنة ٧١٢ خلع البطريك القويم الرأي كيروس ورفع الحارتوفيلاكس يوحنا الى السدة القسطنطينية باسم يوحنا السادس. ثم كتب الى قسطنطين الاول بابا رومة موجباً الاعتراف بالمشيئة الواحدة واعادة اسماء البطريك سرجيوس والبابا اونوريوس وغيرهما الى الذبيخة. وأمر بحرق اعمال المجمع السادس ونفى كل من اعترض على هذه الاجراءات^(٢). فلما وصل أمر الفيلسوف الى رومة ومعه صورة فيليبيكوس ورأس يوستينانوس رفض البابا قبول الامر الامبراطوري والصورة المرفقة. ولما علم بتحطيم صورة المجمع السادس وحرق اعماله أمر بصنع صندوق لاعمال المجمع الستة وزينه برسومها وادخله باحتفال ديني الى كنيسة القديس بطرس^(٣).

وقُتل فيليبيكوس في الثالث من حزيران سنة ٧١٣ وتولى العرش بعده انسطاسيوس الثاني (٧١٣-٧١٦). وقال انسطاسيوس قولاً قوياً ونبذ القول بالمشيئة الواحدة. فحطّم صورة سرجيوس وفيليبيكوس واعاد رسم المجمع السادس وكتب بذلك الى البابا وأرسل صورته ايضاً فتقبل البابا الرسالة والصورة بالأكرام اللائق بها وادخل اسم الفيلسوف في الذبيخة^(٤). وكتب البطريك يوحنا ايضاً مؤكداً انه لم يقبل الترقية في عهد فيليبيكوس الا ليعضن اهون الشرين لان الفيلسوف كان يضر نبذ اعمال المجمع الحلقيدوني^(٥). وتوفي بعد حين فخلفه جرمانوس الاول (٧١٥-٧٢٩).

وكان ما كان من أمر عبد الملك بن مروان (٦٨٥-٧٠٥) فلما استتب **يزيد اول المطهرين**: له الأمر واخضع من اخضع من الثوار والمتمردين وكافح من كافح من الاعداء الفاتحين عني بتعميم قواعد الاسلام وتطبيقها على نظم الدولة ومنظمتها. فاستبدل اسم المسيح وعبارة التثليث في اعلى الطوامير بالعبارة: « قل هو الله احد ». وكتب في صدور

(١) *Agathonis Diaconi Peroratio, Mansi, XII, Col. 192; EBERSOLT, J., Le Grand Palais de Constantinople, 29.*

(٢) *Mansi, XII, 190.*

(٣) *Liber Pontificalis (Duchesne), 391; BREHIER, L., Derniers Heraclides; FLICHE et MARTIN, V, 206-207; OSTROGORSKY, G., Byz. State, 135-136.*

(٤) *DOLGER, F., Reg., 273; Liber Pontificalis, 392-394; Mansi, XII, Col. 193-196.*

(٥) *Mansi, XII, Col. 196-210; THEOPHANES, Chron., a. 6203; Nicephore, 48.*

كتبه الى الروم قل هو الله احد وذكر النبي مع التاريخ . فكتب اليه يوستينيانوس : انكم قد احدثتم كذا وكذا فتركوه والا أتاكم في دنائيرنا من ذكر نبيكم ما تكرهون . فأشار خالد بن يزيد على عبد الملك بالتمسك بما أحدثه في القراطيس وقال : حرم دنائيرهم واضرب للناس سكتاً ولا تعف هؤلاء الكفرة مما كرهوا في الطوامير^(١) . وسكَّ عبد الملك دنائيره الاولى في السنة ٦٩٢ وعليها العبارة : « ومحمد رسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » وعربَّ عبد الملك الدواوين وأخرج منها عدداً كبيراً من النصارى مستعصماً بالمسلمين^(٢) .

ثم جاء الوليد بن عبد الملك (٧٠٥-٧١٥) فاستولى على كتدرائية دمشق وغيرَ فيها وبدلَ وجعل لها صحناً يتفق ومراسيم الصلاة . وبذل بسخاء لترتين الاروقة فغشى جدرانها في حوالي السنة ٧٠٦ بالفسيفساء . وجرى على اسلوب والده الديني فخلت هذه الفسيفساء من صور المخلوقات الحية^(٣) .

وفي السنة ٧٣٠ تولى الخلافة الاموية يزيد الثاني (٧٢٠-٧٢٤) ابن عبد الملك . فذهب مذهب اخيه الوليد ووالده عبد الملك وأمر في السنة ٧٢٣ بتحطيم جميع الصور في جميع الكنائس والبيوت والمحلات العامة . وأنفذ من يحطها فحطمت^(٤) . ولا تزال اثار هذا التحطيم ماثلة للعيان في بعض ما تبقى من آثار كنائس القرن الثامن^(٥) .

وقال الراهب يوحنا ممثل البطارقة الشرقيين في مجمع نيقية الثاني في السنة ٧٨٧ ان يهودياً عملاقاً فاحش الطول حضَّ يزيد الثاني على تحطيم الايقونات مؤكداً انه ان فعل طال ملكه ثلاثين عاماً . وفصل الملاق فأوجب تحطيم كل تمثيل للحياة في الكنائس أنى وجد

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٤٩ والكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٥٣ .

(٢) البلاذري ص ١٩٣ و ٣٠٠-٣٠١ والاحكام السلطانية للماوردي ص ٣٤٩-٣٥٠ وكتاب العقد لابن عبد ربه ج ٢ ص ٣٢٢ .

(٣) Eustache de LOREY, *Les Mosaïques de la Mosquée des Omayyades à Damas*, Cahiers d'Art, 1929, 306 ff.; DIEHL, C., *La Peinture Byzantine*, Paris, 1939, 69.

(٤) Denis de TELL-MAHRE (Chabot), 17.

(٥) AVI-YONAH, *Byzantine Church at Suhmata*, Quarterly of Dept. of Antiq. in Palestine, 1934, 92-105; BARAMKI, D., *Early Christian Basilica at Ain Hanniya*, *Ibid.*, 113-117; VAUX, R. de, *Une Mosaïque Byzantine à Main (Transjordanie)*, Rev. Biblique, 1938, QUIBELL, J.E., *Selective Mutilation of Paintings and Sculptures, Excavations at Sqqara*, 227-258; 1908-1910, Pl. IV.

ان على اغطية المذابح او على الآنية المقدسة او على اللوحات او في الفسيفساء. (١) . وما كاد ينتهي يوحنا من روايته هذه حتى انتصب شاهد عيان فاثبت وقوع التحطيم بامر من يزيد (٢) .

وكانت ايقونات القرن السابع الثامن قد تنوعت وتكاثرت **ابنومات الفرده السابع الثامن :** واصبحت عادية وعجائبية . واشتهرت من بين هذه ايقونات اخيروبويتية Acheiropoietes لم ترسها يد بشرية بل انطبعت انطباعاً من جبراء ملاصقتها لجسم الشخص الذي مثلت . ففاخرت الرها بمنديل المخلص الذي حمل صورة وجهه الكريم للمجرد وقوعه عليه . واحتفظت رومة واكرمت مندبل القديسة فيروتيقية الامراة اليهودية التي مسحت وجه السيد قبيل الصلب فغنمت بصورته مطبوعة على مندبلها طبعاً (٣) . وتبركت كنيسة سيدة خالكوبراتية Chalcoopratia في القسطنطينية بمافوريون السيدة وزنارها ورسما فاصبحت مزاراً كبيراً يؤمه المؤمنون والمؤمنات في كل صباح وكل مساء . وعرفت ايقونة سيدة بلاخيرنة Blachernes في القسطنطينية ببركاتنا المجيدة وقدرتها الفائقة (٤) .

واستعان آخرون برسالة لتلوس الى مجلس شيوخ رومة للتعرف الى اوصاف السيد واشكاله (٥) واعتبروا هذه الرسالة صحيحة فزادوا ايقوناته مكانة واکراماً . واندفع المؤمنون في التكريم والتعظيم فأناروا بذلك انتقاد من اكب على درس بعض اسفار العهد العتيق ومن احتك باليهود ومن جاور المسلمين .

وكان فيلوكسينس Philoxenes اسقف منبج قد احتج على تصوير السيد والقديسين منذ السنة ٤٨٨ (٦) . وكان اغاثيوس الذي توفي في السنة ٥٨٢ قد اضطر ان يدافع عن اكرام ايقونة مار ميخائيل ضد وابل من الانتقاد (٧) . وكان اسقف رومة غريغوريوس الكبير قد اضطر بدوره ان يعظ سيرينوس اسقف مرسلية ، الذي حطم الايقونات ، بالاتران والتروي وذلك

(١) Patr. Gr., Vol. 109, Col. 517-520; Mansi, XIII, Col. 196-200.

(٢) Mansi, XIII, Col. 200; CRESWELL, K.A.C., *Lawfulness of Painting in Early Islam*, *Ars Islamica*, 1946, 159-166; WELLHAUSEN, J., *Das Arabische Reich und sein Sturz*, 221.

(٣) BREHIER, L., *Icones non faites des mains d'homme*, Rev. Arch., 1932, 68-77; RUN-CIMAN, S., *Some Remarks on the Image of Edessa*, Camb. Hist. Journ., 1931, 238-252.

(٤) EBERSOLT, J., *Sanctuaires de Byzance*, 50, 56-57.

(٥) DIDRON, *Manuel d'Iconographie Chrétienne*, 452-454.

(٦) THEOPHANES, *Chron.*, a. 5982.

(٧) *Anthologie Grecque, Epigrammes Chrétiennes*, (Waltz), I, 34-36.

في السنة ٥٩٩^(١). وكان الجدل بين اليهود والنصارى قد اشتد في قبرص في عهد لاوندوس اسقف نيابوليس (٥٩٠-٦٦٨) فاستعان هذا الاسقف بقوزما الراهب المصري صاحب المكتبة الكبيرة راجياً امداده بما يدفع به حجج اليهود في موضوع الايقونات^(٢). ولم تخل القسطنطينية نفسها من شيء من هذا. فان اركولفوس شاهد بام عينه تحطيم احدى الايقونات فيها في السنة ٦٧٠^(٣).

وكثر المحتجون على اكرام الايقونات في آسية الصغرى. وتكثروا فيما يظهر **قسطنطين وتوما**: في الربع الاول من القرن الثامن في فريجية. وتبنى آراءهم بعض الاساقفة. واشهر هؤلاء قسطنطين نقولية وتوما كلوذيوبوليس وثيودوسيوس افسس ابن الفسيلفس طيباريوس الخلع. فلما أعلن يزيد الخليفة الاموي موقفه من الايقونات وبدأ بتحطيمها او تشويهها في كنائس انطاكية واورشليم والاسكندرية انبسطت آمال قسطنطين وتوما وقاما الى القسطنطينية واتصلا ببطريركها جرمانوس الاول. وبسط قسطنطين موقفه من الايقونات امام البطريرك فتدبر هذا الحبر حججه وناقشه فقطعه عن الكلام وأعاده الى ابرشيته. وكان يوحنا متروبوليت سيناذا ورئيس قسطنطين قد كتب الى جرمانوس الاول يشكو من موقف هذا الاسقف. فظن جرمانوس انه أقنع قسطنطين فكتب الى متروبوليت سيناذا يطمنه ويشير الى قسطنطين بالعبارة «المحبوب من الله». ودفع برسائه هذه الى قسطنطين نفسه وطلب اليه ان يوصلها الى رئيسه المتروبوليت^(٤). ولكن قسطنطين احتفظ برسالة البطريرك ولم يوصلها الى رئيسه! فكتب جرمانوس اليه يهدده بالربط. فأشار توما باخفاء رسالة البطريرك والسكوت عنها! فكتب البطريرك الى توما يدافع عن اكرام الايقونات ويوجب الابتعاد عن الشعب والقتال ويذكر باحترام الفسالة للايقونات واکرامهم لها^(٥).

لاوون الثالث والايقونات: ويستدل من رسالة جرمانوس الى توما ومن قوله فيها ان الفسالة اكرما الايقونات واحترموها انه لم يدر آتئذ ان لاوون

(١) Reg. IX, 208.

(٢) Mansi, XIII, Col. 44; BAYNES, N.H., *Icons before Iconoclasm, Byzantine Studies and Other Essays*, London, 1955, 230-231.

(٣) ARCULFUS, *Itinera Hierosolymitana*, 200.

(٤) *Lettres du Patriarche Germain à Jean, Métropolitte de Synnada, Patr. Gr.*, Vol. 98, Col. 156-161.

(٥) *Patr. Gr.*, Vol. 98, Col. 164-188; OSTROGORSKY, Q., *Les Débuts de la Querelle des Images*, 238.

الفيلسوف كان يبطن اي كره للصور المقدسة . ويستدل ايضاً من الرسائل التي تبودلت بين لاوون الفيلسوف وبين البابا غريغوريوس الثاني قبل بدء التحطيم ان البابا ايضاً لم يلمس اي اعوجاج في عقيدة لاوون^(١) . ولا تزال اختام لاوون الاولى تحمل صورة عذراء هوديفيتريا الايقونة الشهيرة^(٢) . فكيف أمسى هذا الفيلسوف المسيحي القويم الرأي في عرف البطريرك جرمانوس الاول والبابا غريغوريوس الثاني قبل السنة ٧٢٦ عدواً لدوداً للايقونات بعدها؟ وهل يُعزى ذلك الى اصله المرعشي ، الى احتكاك والديه بالمسلمين عند الحدود^(٣) ، او الى عطفه على بسر Beser واحتكاكه به بعد السنة ٧٢٣ ؟ وبسر هذا جندي نصراني أسره الاميون فدخل في الاسلام . ثم جرى تبادل الاسرى فعاد بسر الى بلاد الروم . ولا نعلم ما اذا كان عاد الى النصرانية ام لا . ولكن المراجع تشير الى اتصاله بلاوون في السنة ٧٢٣ او ٧٢٤ . والى عطف الفيلسوف عليه وتقديره لقوته الجسدية وآرائه الدينية في موضوع الايقونات^(٤) .

لاوون والرهبان والدولة : وقد يكون موقف لاوون من الايقونات سياسياً ادارياً . فاننتصار النصرانية على الوثنية كان قد تم واكتمل في القرن السادس . وكانت موجة الاسلام قد سلخت عن جسم الدولة كل من قال بالطبيعة الواحدة . وكان الفيلسوف قد أصبح حراً طلقاً يقول بعقيدة يجمع عليها رعاياه . ولكن نفوذ الكنيسة كان قد ترايد في الاوساط الشعبية . فبهرت عظمة طقوسها العقول وحرّك وعظها الافئدة والصدور . وكان الشعب قد تعلق برهبان الكنيسة وعقد على صلواتهم وتضرعاتهم الآمال بالسعادة والنجاح . وكان الناس قد أقبلوا على الترهّب زرافات زرافات . وكانوا قد رأوا في ارتداء الثوب افضل السبل الى خلاص النفس فتعددت الاديرة وحوت منها العاصمة وحدها عدداً عظيماً^(٥) .

(١) Mansi, XII, Col. 959.

(٢) BREHIER, L., *La Querelle des Images*; FLICHE et MARTIN, V, 448.

(٣) *Saint Etienne le Jeune, Patr. Gr.*, Vol. 100, Col. 1084; Denis de TELL-MAHRE, (Chabot), 12.

والحدائق مجبول ولان الكتاب نفسه لم يدون قبل النصف الثاني من القرن الحادي عشر !

(٤) THEOPHANES, *Chron.*, a. 6215; BREHIER, L., BESER, *Dict. Hist. Geog. Ecc.*, VIII, Col. 1171-1172; SCHENK K., *Kaiser Leons III Walten im Inneren, Byz. Zeit.*, 1896, 257-301; STARR, J., *An Iconodulic Legend and Its Hist. Basis, Speculum*, 1933, 500-503.

(٥) MARIN, E., *Les Moines de Constantinople*, Paris, 1896.

وأدى ازدياد عدد الرهبان وتعاظم امرهم الى نقص في دخل الخزينة لان القانون اعفى الرهبان من دفع الضرائب كما منع جبايتها عن الاوقاف الكنسية . وتوافرت ثروة الرهبانيات وقوي نفوذها فأصبحت عنصراً سياسياً هاماً يتدخل فيعرقل سير السياسة ويعقد مشاكلها . ومن جرّاء الانسياق غير الواعي في موجة من التمدد الشديد ساد النفوس ضرب من القدرية الناشئة افضت بدورها الى فقدان النشاط والعزم والحزم وروح المبادرة ولا سيما ازاء الحوادث الكبرى^(١) . ومن هنا قول المؤرخ الروسي اوسبنسكي ان السبب الحقيقي الذي دفع بلاوون وخلفائه الى خوض غمار حرب الايقونات انما كان خوفهم من ازدياد ثروة الرهبان وتزايد نفوذهم . فالمشادة في نظر اوسبنسكي كانت زمنية سياسية فجعلها الرهبان دينية ليوغروا صدور المؤمنين ويحضوهم على مقاومة برنامج الحكومة^(٢) . وينهب المؤرخ اليوناني باباريغوبولو الى ابعد من هذا فيرى في كتابه تاريخ الحضارة اليونانية ان حرب الايقونات كانت في اساسها حرب اصلاح سياسي اجتماعي وان لاوون وخلفاءه ارادوا ان يحرروا التعليم والتربية من سيطرة الاكليروس وان العناصر المستنيرة المتحررة في الدولة وبعض كبار رجال الدين والجيوش ايدوا هذه الحركة لانهم رأوا فيها اصلاحاً مفيداً^(٣) .

(٧٢٦) وبدأ لاوون بالدعاية . فحدث كبار الشعب في موضوع الايقونات **مفسر وتبين** : وحجّدها عن محلاتها وقبّح السجود لها واكرامها . وجاء في بعض المراجع انه كان يؤيد كلامه بالبراهين فاذا لمس اعتراضاً شديداً او امتعاضاً غيّر موضوع الكلام وانتقل الى بحث آخر^(٤) ! ثم زلزلت الارض وأرجفت فظهرت جزيرة سانتورينو بين ثيرة وثيراسية من جزر الكيكلادس في بحر ايجة . فاعتبر لاوون هذه الظاهرة الطبيعية انذاراً من الله يوجب الرجوع اليه والابتعاد عن السجود للايقونات^(٥) .

ثم رغب لاوون في تعجيل الامور فأمر في السنة ٧٢٧ بانزال ايقونة السيد المخلص عن باب خالكبي احد مداخل القصر المقدس . فاندلعت في الحال ثورة اشتركت فيها النساء اشتراكاً فعلياً . ومزقت الجماهير الموظف الذي نفذ ارادة الفيلسوف وقضوا ايضاً على ضباط

PAPARIGOPOULO, K., *Civilisation Hellénique*, 184; DIEHL et MARCAIS, *Monde Oriental*, (١)
228-231.

USGENSKY, Th., *Byzantine Empire*, II, 22-53, 89-109, 157-174. (٢)

PAPARIGOPOULO, K., *op. cit.*, 188-191. (٣)

Vita Stephani Junioris, Patr. Gr., Vol. 100, Col. 1084; THEOPHANES, *Chron.*, a. 6217. (٤)

THEOPHANES, *Chron.*, a. 6218. (٥)

القصر الذين احاطوا بهذا الموظف . فتعددت الاعتقالات وكثر الجلد والتشويه وقضى البعض اياماً صعبة في المنفى^(١) . وضجت الاوساط بما جرى وتناقلته اللسان وانتشر بريده فوصل الى رومة فكتب غريغوريوس الثاني الى لاوون رسالته الاولى^(٢) وذكر الاحقاد هذا الحادث فيما بعد فأعجبوا بقدرة الايقونة ووصولها الى رومة سالمة عبر البحر واعتبروا بعض الضحايا شهداء قديسين^(٣) . وفي هذه السنة عينها أفسد لاوون انتظام الجامعة في القسطنطينية^(٤) . ولعله لم يرضَ عن موقف بعض الاساتذة من برنامجه الاصلاحى فعاملهم بالقساوة . ولا صحة فيما يظهر لما جاء بعدئذ في كتاب جاورجيوس الراهب عن ان لاوون احرق مكتبة الجامعة واساتذتها^(٥) .

عمرد الجند : ونادى الجند في ثيمة الجزر الايجية^(٦) بقوزمة فسيلفساً محتجين بذلك على موقف لاوون من الايقونات . وأقلعت سفنهم الى القسطنطينية فوصلت الى مياهها في الثامن عشر من نيسان سنة ٧٢٧ واصطدمت بسفن لاوون ففتكت النار الاغريقية بالسفن الثائرة وألقي القبض على بعض زعماء الحركة وسقط الباقون مجاهدين^(٧) .

لاوون والبطريرك والبابا : وكان لاوون لا يزال يدعو الى رفع الايقونات دعاية سلمية . ولعله بدأ منذ السنة ٧٢٧ يفكر باصدار ارادة ملكية تحرم استعمال الايقونات في الكنائس فرأى ان يستميل البطريرك القسطنطيني وبابا رومة الى جانبه تحاشياً وتقادياً . فاستدعى جومانوس الاول وفاجأه بالقول ان جميع الاباطرة والبطاركة السابقين ضلوا بسجودهم للايقونات^(٨) . وكتب الى البابا غريغوريوس الثاني يحضه على الغاء استعمال الايقونات وعلى تحريمها واعداً بالعطف والمساعدة ومهدداً بالخلع في حال الامتناع . فاشمأز غريغوريوس

THEOPHANES, *Chron.*, a. 6218; *Vita Stephani Junioris*, P. G., Vol. 100, Col. 1085. (١)

GREG. PAP. EPIST., *Mansi*, XII, Col. 959. (٢)

Actes des Martyrs de Constantinople; EBERSOLT, J., *Sanctuaires de Byzance*, 19-20. (٣)

THEOPHANES, *Chron.*, a. 6221. (٤)

GEORGES LE MOINE, (de Boor), II, 742; FUCHS, *Hohern Schulen von Konstantinopol*, *Byz. Arch.*, 1926, 9-13; BREHIER, L., *Légende de Léon Incendiaire de l'Univ. de Const., Byzantion*, 1927, 13-28. (٥)

Thème des Helladiques et des Cyclades; DVORNIK, C., *Les Légendes de Constantin et de Méthode*, Prague, 1933, 4-6. (٦)

THEOPHANES, *Chron.*, a. 6218; *Nicephore, Breviarum*, 57-58. (٧)

THEOPHANES, *Chron.*, a. 6218. (٨)

وكتب الى جميع الجهات مندداً بمحبة لاوون والحاده موجباً التيقظ والتحفز^(١). وقد أثبت العلامة جورج اوستروغورسكي الاستاذ في جامعة بلغراد صحة هذه الرسائل التي تغزى الى غريغوريوس الثاني بعد ان اعتبرها بعض العلماء مزورة^(٢). فيصح والحالة هذه الرجوع اليها والوقوف على مضمونها لتفهم موقف لاوون من الايقونات.

ويستدل من المقاطع التي استشهد بها غريغوريوس ورد عليها في هذه الرسائل ان لاوون اراد ان يقتفي اثر حزقيا بن آحاز ملك يهوذا الذي صنع القويم في عيني الرب «فأزال المشارف وحطّم الأنصاب وسحق حية النحاس التي كان موسى صنعها لان بني اسرائيل كانوا الى تلك الايام يُفَتِّرون لها وسموها نَحْشَتَان»^(٣).

ويستدل من هذه الرسائل ايضاً ان لاوون اعتبر نفسه كاهناً وامبراطوراً. فأجاب البابا مؤاخذاً الفيلسوف على استثارة بالسلطة في هذه الامور وعلى علم اتصاله مسبقاً بالسلطات المختصة. واذاف ان التحريم جاء لدع اليهود عن عبادة الاوثان. اما النصرارى فانهم لا يعبدون الصور^(٤).

وهاج الايطاليون بين أنكونة والبندقية ورفعوا لواء العصيان وابعوا زعماء لهم وكادوا ينادون بامبراطور غير لاوون لولا تدخل غريغوريوس في الأمر ونهيه^(٥). وما زاد في الطين بلة ان الايطاليين كانوا قد استقلوا ضرائب لاوون فلما أطل عليهم بسياسته الدينية الجديدة ازدادوا غضباً ونقمة. وظلّ غريغوريوس موالياً رادعاً. ولا عبرة بما جاء في كتاب المؤرخ الالماني كسبار عن نكرة غريغوريوس القومية الايطالية^(٦).

وعاد لاوون الى جرمانوس الاول فحاول اجتذابه بالطف والملاينة والمالقة ولكن البطريرك أصرّ على موقفه وأوجب ابقاء الايقونات في الكنائس وتكريمها وادلى بحججه.

Liber Pontificalis (Duchesne), I, 404; THEOPHANES, *Chron.*, a. 6221. (١)

OSTROGORSKY, G., *Les Débuts de la Querelle des Images*, Mélanges Diehl, 1930, I, 244-254. (٢)

سفر الملوك الرابع ١٨ : ١-٥ (٣)

MENGES, H., *Die Bilderlehre des hl. Johannes von Damaskus*, 1938, 33; DOLGER, F., *Byz. Zeit.*, 1931, 458 ff.; HALLER, J., *Das Papsttum*, I, 328, 502. (٤)

Liber Pontificalis (Duchesne), I, 404-409. (٥)

OSTROGORSKY, G., *The Byz. State*, 145, n. 1; GASPAR, E., *Papst Gregor II und der Bilderstreit*, *Zeit. für Kirchengeschichte*, 1933, 29-89. (٦)

وأضفى الى حجج البطريرك وسكت عنها فظن جرمانوس الذي كان يصدق كل شيء . انه أقنع الفيلسوف بوجود ابقاء القديم على قدمه . وكتب الى غريغوريوس بذلك في اواخر السنة ٧٢٩^(١) .

الارادة السنية : (٧٣٠) وسنم لاوون المفاوضة والاقناع والدعاية والملاطفة . فدعا في السابع عشر من كانون الثاني سنة ٧٣٠ المجلس الاستشاري الامبراطوري اي سيلانتيون Silention الى الانعقاد في قاعة التسعة عشر سريراً في قصر دفنة . فضم المجلس كبار الموظفين الاداريين في العاصمة وكبار الشيخ^(٢) . وجلس في كرسي الرئاسة لاوون نفسه . ومثل امام الامبراطور الفيلسوف البطريرك القسطنطيني جرمانوس الاول . وتلى نص ارادة ملكية سنوية تحرم احترام الايقونات واكرامها^(٣) . وطلب الى جرمانوس ان يوقع هذا التحريم . فأبى البطريرك ووضع الامفوريون عن عاتقه وصاح بالمجلس : « انا يونان اطرحوني في البحر ! وليس لي اي ايمان آخر سوى ذلك الذي اقره المجمع المسكوني ا » وخرج البطريرك وذهب تَوّاً الى البيت الذي وُلد فيه وما زال حتى وفاته^(٤) . ويلاحظ هنا ان العلامة الافرنسي لويس براهيه يوثق القول ببيان بطريركي لا ارادة سنوية . فهو يرى انه لو كان لاوون اصدر ارادة بالتحريم لامتنع ابنه قسطنطين الخامس عن اصدار ارادته فيما بعد . ولكنه لا يصّر على هذا الرأي^(٥) .

وشعر المنصب البطريركي شغوراً فاعتلاه انسطاسيوس السنكلوس باسم انسطاسيوس الاول (٧٣٠-٧٥٢) وذلك في الثاني والعشرين من كانون الثاني سنة ٧٣٠^(٦) . وفي هذا الحدث ما يثير التفكير في ان لاوون كان قد نجح في استمالة عدد كبير من اساقفة المجمع ولا سيما وان هذا المجمع اتخذ فوراً قراراً بتحريم الايقونات وان غريغوريوس بابا رومة احتج على عمل هذا المجمع وهدد انسطاسيوس بعدم الاعتراف به اُخاً له في الشركة^(٧) .

THEOPHANES, *Chron.*, a. 6221; *Vita Stephani, P.G.*, Vol. 100, Col. 1084-1085; *Mansi*, (١) XIII, Col. 92-100.

CHRISTOPHILOPOULOU, E., *Silention, Byz. Zeit.*, 1951, 79 ff. (٢)

OSTROGORSKY, G., *Mélanges Diehl*, I, 254. (٣)

Nicephore, Breviarum, 58. (٤)

BREHIER, L., *Querelle des Images*; FLICHE et MARTIN, V, 454, n. 3. (٥)

THEOPHANES, *Chron.*, a. 6221; *Nicephore, Breviarum*, 58; *Vita Stephani, P.G.*, Vol. 100, (٦) Col. 1085.

Liber Pontificalis, (*Duchesne*), I, 408-409: « non censuit fratrem aut consacerdotem ». (٧)

وتوافق المراجع على اتخاذ اجراءات منظمة في حق من عارض التحريم اضطرابات لاوون : منذ وصول انسطاسيوس الى الكرسي القسطنطيني^(١). ولكنها تختلف في التفصيل. فنقيفوروس يذكر التنكيل والتعذيب الذي حل بالمؤمنين الحسني العبادة. ورسائل رومة تشير الى التشويه وقطع الرؤوس. وثيوفانس يؤكد ان عدداً كبيراً من الاكليروس والشعب والراهبات نالوا اكليل الظفر. وتضيف رسائل رومة انه توجب على كل من اقتنى ايقونة ان يحملها الى باحة من باحات العاصمة لاحراقها. ويؤكد صاحب حياة القديس اسطفانوس ان كثيرين هجروا القسطنطينية وان والدي اسطفانوس قاما الى خلقيدونية ومنها الى جبل القديس اوكسندوس لايفاء النذر^(٢).

وفي هذه الظروف عينها هبَّ يوحنا الدمشقي يشارك ابناء الكنيسة في الدفاع عن الايقونات بنحط ثلاث شرح فيها معتقد الكنيسة الجامعة ودعم تعاليمها ببراہين قاطعة وبلغت بليغة وقلم سيال. فراع لاوون ما رآه من ظهور هذا الحُصم الجديد ولا سياً وان يده لا تستطيع ان تناله بسوء. فحصل كتابة من خط يوحنا وزور على لسانه رسالة كانت مكتوبة منه ومرسلة الى الفيلسوف يشرح فيها حالة النصارى السينة ويبين مواطن الضعف في الدولة الاموية ويستحث الفيلسوف على استعادة سورية ويعده بالمساعدة. وخطب لاوون ودَّ عمر بن عبد العزيز ثم أطاعه على «خيانة» يوحنا. فاستشاط عمر غضباً وأمر بقطع يد يوحنا^(٣).

«وعاد يوحنا الى بيته يجر اذيال العار والدم يقطر من يده البرينة الطاهرة. وجاء وانطرح امام ايقونة البتول واخذ يكلمها بلهجة العاتب المحب ويقول : كيف سمحت يا سيدتي بان يقع في هوة الذل السحيقة ولدك هذا الذي انا دافع عن عبادتك وعن ايقوناتك ويفقد يده النقية ويحسر مقامه الرفيع ! وبكى كثيراً وصلى وتضرع. وأخذ النعاس فنام. فقرأت له البتول وشجته وطابت قلبه واقتربت اليه واعادت اليه المقطوعة صحيحة مثل الاخرى. وذهب يوحنا الى الخليفة وأراه يده كاملة. فدهش الخليفة وسأل يوحنا عن الخبر. فقصَّ عليه ما جرى وكيف ان لاوون اراد الانتقام فلجأ الى التزوير وكيف ان البتول مرّيم نظرت

(١) *Nicephore, Breviarum*, 59; *THEOPHANES, Chron.*, a. 6221; *Liber Pontificalis*, I, 409

(٢) *Vita Stephani Junioris, P.G.*, Vol. 100, Col. 1088.

(٣) *Patr. Gr.*, Vol. 94, Col. 1232-1284, 1284-1318, 1317-1420.

الى صدقه واخلاصه فاعادت اليه يده . فُسِّرَ الخليفة سروراً لا يوصف وامر ان يعود يوحنا الى ديوانه والى مكانته «^(١) - سنكسار عساف .

وتوفي البابا غريغوريوس الثاني في الحادي عشر من شباط سنة رومنة نُسكِرَ وقاوم : ٧٣١ وخلفه على السدة الرومانية غريغوريوس الثالث في الثامن عشر من اذار من السنة نفسها . فأوفد هذا الحبر الجديد الكاهن جاورجيوس الى القسطنطينية ولكنه لم يجرؤ على تقديم الرسالة الباباوية فعاد الى رومة دون انجاز مهمته . فعاقبه البابا وردّه الى القسطنطينية مرة ثانية . ولكنه مُنِعَ عن متابعة السير بأمر من الفيلسوف وحجز في صقلية فانقطعت العلاقات بين رومة والقسطنطينية^(٢) .

وكان غريغوريوس الثالث قد دعا الى مجمع محلي في رومة في اول تشرين الثاني من السنة ٧٣١ . فأَمَ العاصمة الاولى ثلاثة وتسعون اسقفًا ايطاليًا . وتداولوا في أسر الايقونات فاتخذوا قراراً قضى بقطع كل من خالف تقليد الكنيسة وعارض في احترام الايقونات المقدسة او حقرها او حطّمها . وانفض المجمع عند نهاية السنة ٧٣١^(٣) . وأنفذ غريغوريوس هذه المرة المحامي بطرس الى القسطنطينية وحَمَلَهُ رسالتين واحدة الى لاوون والثانية الى انسطاسيوس وفيها نبأ قرارات المجمع المحلي الايطالي بشأن الايقونات^(٤) .

لاوون **بضيس مرمى سلطه البابا** : واغتاظ لاوون وتنمّر فأنفذ قوة عبر الادرياتيک لفرض سلطته ورأيه ولكن عاصفة هوجاء حطمت بعض سفنها وشتت الباقي . فزاد الفيلسوف ضريبة العنق المفروضة في ثيمتي كلابرية وصقلية بمقدار ثلثها^(٥) وسلخ عن بطريكية رومة ابرشيات كريت وصقلية وسردينية وكلابرية وايروس واليرية وضما الى بطريكية القسطنطينية^(٦) . ويلاحظ هنا ان باسيليوس الارمني ينص ان هذه الابريشيات

JEAN DE JERUSALEM, *Acta Sanctorum*, II, Mai, 109-118; LE QUIEN, *Joannis Damascen.* (١)

Opera; P.G., Vol. 94, Col. 429-490.

Liber Pontificalis (Duchesne), I, 415-416. (٢)

Liber Pontificalis (Duchesne), I, 416; Mansi, XII, Col. 299 ff. (٣)

Liber Pontificalis (Duchesne), I, 416-417. (٤)

THEOPHANES, *Chron.*, a. 6224; DOLGER, F., *Reg.* 300. (٥)

DOLGER, F., *Reg.*, 301; Mansi, XIII, Col. 808, XV, Col. 167. (٦)

سلخت عن كنيسة رومة عندما دخل البابا في حكم البرابرة^(١). ويرى العلامة غي انها سلخت في عهد قسطنطين الخامس^(٢).

قسطنطين الخامس (٧٧٥-٧٤٠) وتوفي لاوون في حزيران السنة ٧٤٠ فتولى الحكم بعده ابنه قسطنطين الخامس. وهو الذي اطلق عليه لقب الزبلي Copronymos اما لانه افرز في جرن العباد او لانه كان يحب الخيل. وعرف ايضاً بلقب Caballinos لشدة عنايته بالخيول وتملقه بها^(٣). وورث قسطنطين عن والده نشاطاً نادراً ومقدرة عظيمة في الادارة والحرب. ولكنه غالى في نظرياته الدينية وسخر سلطته الزمنية لتطبيق هذه النظريات.

وما كاد قسطنطين يستوي على عرشه حتى تزعم صهره آرتافن دوس العناصر الصاخبة في الولايات الاوربية وزحف على العاصمة فحطم القوة التي قادها بسرّ ضده وأعلن نفسه فيلسفياً وتسلم التاج من يد البطريك انسطاسيوس واعاد الايقونات الى سابق عزها وكرامتها^(٤).

وكان قسطنطين قد لجأ الى ولايات آسية الى موطن حركة التحطيم فاعتصم في العمورية. فجدد قسطنطين في اثره حتى بلغ سهل الكايستروس Caystros بالقرب من ساردس فأوقع بصهره هزيمة حاسمة واضطره الى الفرار شمالاً. وما فتئ يطارده حتى كيزيكة. وعبر ارتافن دوس البحر الى القسطنطينية. ثم أنفذ جيشين آخرين الى آسية ولكن قسطنطين تمكن من التغلب عليها. وفي السنة ٧٤٢ قام قسطنطين بدوره على رأس جيش الى اوروبة وحصر صهره في القسطنطينية. وقلّ القوت في العاصمة فاستسلمت في الثاني من تشرين الثاني من السنة ٧٤٢ نفسها. وفرّ آرتافزدوس الى آسية فألقي القبض عليه وسملت عيناه واولاده. واحتفل قسطنطين بالنصر في ميدان الهيودروم فاستعرض آرتافن دوس واولاده مكبلين بالحديد والبطريك انسطاسيوس راكباً حماراً مواجهاً ذيله^(٥).

PARTHEY, *Hieroclis Synecdemus*, 74. (١)

GAY, J., *L'Italie Méridionale et l'Empire Byzantin*, 8, 11-12. (٢)

THEOPHANES, *Chron.*, a. 6211; LOMBARD, A., *Œtudes d'Hist. Byz.*, 10-21. (٣)

THEOPHANES, *Chron.*, a. 6233. (٤)

Ibid., a. 6234; *Nicephore, Breviarum*, 61-62; *Antirrheticus, P.G.*, Vol. 100, Col. 500. (٥)

قسطنطين وبابا رومه : وتوفي غريغوريوس الثالث بابا رومة في العاشر من كانون الاول سنة ٧٤١ فتولى السدة الرسولية بعده زخريا (٧٤١-٧٥٢) . وطبق هذا البابا العرف الكنسي فأوفد ابوكيساريين الى القسطنطينية حاملين اوراق انتخابه . وكان ارتافزدوس قد تسم العرش فترث الوفد الروماني ولم يقدم اوراقه حتى استتب الامر لقسطنطين^(١) . وقضت ظروف ايطالية السياسية بالتعاون بين البابا والفيلسوف فاعتبر زخريا ارتافزدوس نائراً مقتصباً واستوسط الفيلسوف قسطنطين البابا في علاقته مع اللومبارديين . ثم وهب الفيلسوف الكنيسة الرومانية الاملاك الاميرية في نغية ونورمية^(٢) . وتوفي زخريا في السنة ٧٥٢ وأطل الافرنج على ايطالية ورضي قسطنطين عن تدخلهم في شؤونها فارتبطت كنيسة رومة بهؤلاء . ومالت عن الفسالة ثم حالت عن ممالقتهم والخضوع لهم^(٣) .

قسطنطين يمنع ويردع : (٧٤٢-٧٥٤) ونهى قسطنطين عن اكرام الايقونات متبعاً في ذلك سياسة والده . وباحث وجادل وردع ولكنه لم يقدم في السنوات العشر الاولى من حكمه على اي عمل بارز في الاساءة الى الايقونات . فقد جاء في سيرة القديس اسطفانوس ان عمال قسطنطين واتباعه بيّضوا بالكلس ، في هذه الآونة ، جميع الصور المقدسة التي كانت تزين جدران المعابد وابقوا على ما لم يكن له علاقة بالدين منها . وكانت جدران بعض الكنائس القديمة لا تزال مزينة بمشاهد علمانية غير دينية كصيد الحيوانات واطهار غرائبها الحقيقية والخرافية وسباقات الخيل وما شاكل ذلك^(٤) .

وجاء في هذه السيرة نفسها ايضاً ان القديس اسطفانوس الذي كان قد أصبح رئيس دير القديس اوكسندوريوس كان في هذه الآونة يُخطب في الرهبان المجتمعين حوله في موضوع الايقونات فيعزرو ما حلّ بها من ضيم الى اليهود والسوريين ويحض الرهبان على المقاومة دون ان يذكر اسم الفيلسوف^(٥) . ومما تفيده هذه السيرة ان القديس اسطفانوس الذي ألقى خطبه هذه في السنة ٧٥٣ كان ينصح الرهبان المعارضين ان يتزحوا الى القرم والخرسون وسائر

(١) *Liber Pontificalis* (Duchesne), I, 432.

(٢) *Ibid.*, I, 426-427, 433; DIEHL, C., *Exarchat de Ravenne*, 415-416; DOLGER, F., *Reg.* 310.

(٣) BREHIER, L., *Querelles des Images*; FLICHE et MARTIN, V, 462.

(٤) *Vita Stephani*, P.G., Vol. 100, Col. 1112-1113; *Sancti Nili Epist.*, Vol. 79, Col. 577;

BREHIER, L., *Art Chrétien*, 58-60.

(٥) *Vita Stephani*, P.G., Vol. 100, Col. 1112-1117.

النخاع البحر الاسود والى ايطالية ورومة والى جزيرة قبرص وشاطى لبنان والخليج الفارسي . ويستدل من هذا المرجع ايضاً ان بابا رومة وبابا الاسكندرية وبطريك انطاكية وضعوا الفيلسوف تحت الحرم^(١) .

وأشهر ما يروى عن اساليب قسطنطين السلمية المحاوراة التي دارت في حوالي السنة ٧٥٣ بين قوزمة اسقف مرعش وبين جاورجيوس الراهب الناسك في جبل الزيتون في قيليقية . وكان قوزمة من عمال قسطنطين يدعو الى عبادة الله بالروح فقط . والحق المؤمنون على جاورجيوس بتدوين ردوده على قوزمة فأمر تلميذه ثيوسيس بذلك فخلف النونثيزية وهي «نصح الشيخ الجليل في موضوع الايقونات المقدسة» . وقد جاء في هذا الدفاع ان الايقونات من انشاء المسيح نفسه وان القول ان الكنيسة تعبد الاصنام يجر الى القول ان المسيح نفسه انشأ الاصنام . وتذرع قوزمة بما جاء في العهد القديم ضد الايقونات فاجابه جاورجيوس بأن التجسد الالهى ابطل الوصية الثانية وما مائلها^(٢) . وألقي القبض على جاورجيوس ومثل امام الفيلسوف ففر تلميذه ثيوسيس الى سورية .

(١) Vita Stephani, P.G., Vol. 100, Col. 1112-1114; VASILIEV, A., The Goths in the Crimea, 88.

(٢) Nonthesia: Melioranski, B.M., GEORGH KIPRIANIN i Ioann Ierusalimlianin, Rev. by

KURTZ, Ed., Byz. Zeit., 1902, 538-542.

الفصل الثالث

محرّم الابغونات وابطالها

٧٧٥ - ٧٥٤

المحرّم : وما نعلمه عن موقف المحرمين مأخوذ من اقوال المحللين من اقوال يوحنا الدمشقي والبطريوك نيقيفوروس وآباء المجمع المسكوني السابع . ولم يتفق الآباء المحرمون على موقف واحد ولم يبرموا شيئاً باجماع الكلمة . فالمعتدون منهم أبقوا على ايقونة السيد المسيح في الكنائس وغيرها شرط ان تبقى عالية بعيدة المثال وشرط ألا يُسجد لها . ولكن معظم المحرمين حرّموا كل تصوير مقدس ووجبوا تحطيمه .

واحتج المحرمون على المحللين بنصوص الاسفار واقوال الآباء . وأهم النصوص التي تذرعوها الوصية الثانية : « لا تصنع لك منحوتاً ولا صورة شيء مما في السماء من فوق ولا مما في الارض من أسفل ولا مما في المياه من تحت الارض »^(١) وآية التثنية : « لئلا تفسدوا وتعملوا لكم تمثالاً منحوتاً على شكل صورة ما من ذكر او انثى او شكل شيء من البهائم التي على الارض او شكل طائر ذي جناح مما يطير في السماء او شكل شيء مما يدب على الارض او شيء من السمك مما في الماء تحت الارض » . والآية بعدها : « لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً صورة ما »^(٢) . ورصّع المحرمون مراراً بما جاء في المزمور المئة والثالث عشر : « اما اوثانهم ففضة وذهب صنع ابدي البشر . لها أفواه ولا تتكلم . لها عيون ولا تبصر . لها

(١) سفر الخروج ٢٠: ٤

(٢) سفر التثنية ٤: ١٤ - ١٩ ، ٥: ٧ - ٨

آذان ولا تسمع . لها انوف ولا تشم . لها ايد ولا تلمس . لها ارجل ولا تمشي ولا تصوت
 بجنابها . مثلها ليكن صانعوها وجميع المتكلمين عليها . واستشهدوا ايضاً بما جاء في نبوة
 ارميا : « فان واحداً يقطع شجرة من الغابة فتنتحها يد النجار بالقدم . ثم ترمين بالفضة
 والذهب وتوثق بالمسامير والمطارق لئلا تتحرك . فلا تخافوا من مثل هذه فانها لا تسيء ولا
 في سبها ايضاً ان تحسن »^(١) . نقول احتج المحرمون بهذه النصوص مراراً وتكراراً ولكنهم
 لم يبرروا ولم يبحثوا امر موقفهم من الصور والتماثيل غير الدينية . ثم احتجوا بقول السيد : « ولكن
 تأتي ساعة وهي الآن حاضرة اذ الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق لان
 الآب انما يريد مثل هؤلاء الساجدين له لان الله روح والذين يسجدون له فالبروح والحق
 ينبغي ان يسجدوا »^(٢) . ووجدوا في كلام بولس في محفل اريوس باغوس بيته على صحة التحريم .
 فقد قال بولس في أثينة : « فاذا كنا نحن ذرية الله فلا ينبغي ان نحسب اللاهوت شيئاً
 بالذهب او الفضة او الحجر او سائر ما ينقش بصناعة الانسان واختراعه »^(٣) . وأشاروا الى
 ما قاله هذا الرسول نفسه الى اهل غلاطية فحسبوه دليلاً آخر على التحريم : « اما انا فحاشي
 لي ان افتخر الا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به صلب العالم لي وأنا صلبت للعالم »^(٤) .
 واستعان المحرمون بالادب الابوقريفي وبقوال بعض الآباء لاثبات رأيهم فأكدوا ان
 يوحنا الجيب لام احد تلاميذه لانه صورته^(٥) . وقد جمع العلامة الالماني سفارلوسي اقوال
 الآباء التي رجع اليها المحرمون في جدلهم مع المحللين . فلتراجع في محلها^(٦) . وأمعنوا في التيه
 فغيروا وبدلوا بعض نصوص الآباء ليناصلوا ويدافعوا . ففعلوا القديس نيلوس ينصح
 اوليمبيوذوروس ان يكتبني باقامة صليب في حنية الكنيسة التي انشأ وان يطلي بالكلس
 جميع جدرانها . والواقع ان نيلوس نصح اوليمبيوذوروس ان يقيم صليماً في الحنية وان
 يؤمن الجدران بمشاهد من النصوص المقدسة^(٧) . وبالغوا في اهمية مجموعة من الرسائل التي نبت
 عن اكرام الايقونات ونسبها الى القديس ابيفانيوس اسقف سلايينة قبرص (٣١٧-٤٠٣) ثم

(١) نبوة ارميا ١٠: ٢-٦

(٢) انجيل يوحنا ٤: ٢٣-٢٥

(٣) اعمال الرسل ١٧: ٢٩

(٤) رسالة بولس الى اهل غلاطية ٦: ١٤

(٥) Mansi, XIII, Col. 169.

(٦) SCHWARLOSE, K., *Der Bilderstreit*, 84-86.

(٧) MILLET, G., *Les Iconoclastes et la Croix. A propos d'une Inscription de Cappadoce*, Bull. Corr. Hell., 1910, 99.

ظهر فيما بعد ان هذه الرسائل مزورة تزويراً^(١). ولا عبرة لما جاء في تأييد صحتها بقلم العلامة كارل هول الالمانى لانه تطرف في الاجتهاد فجاءت استنتاجاته ضعيفة غير مقبولة^(٢).

وناقش المحرمون وناظروا من طريق اللاهوت فاعتبروا المحللين خارجين على قرارات المجامع المسكونية واقعين في الهرطقة . وتلخص حججهم في هذا الميدان هكذا : لا يمكن تصوير اللاهوت بالمادة بما هو زائل وسفلي . واذا كان لا يمكن تصوير الله بالمادة فانه لا يمكن تصوير المسيح بالمادة لانه صورة الآب . والاشارة هنا الى الآية التاسعة من الفصل الرابع عشر من انجيل يوحنا : « من رأني فقد رأى الآب » . فاذا ما صورناه فانما نصور ناسوته ولاهوته في آن واحد فنخلط الناسوت باللاهوت ونقع في ضلالة نسطوريوس . وصورة المسيح الوحيدة هي جسده ودمه في الافخارستية^(٣) .

المحرمون والصليب : ووقر المحرمون الصليب وعظموه تعظيماً . وجرّدوه من كل رسم عليه وسجدوا وتعبدوا . وأقاموه في حنايا الكنائس ونقشوه في سقوفها وصنعوه من المعدن وكتبوا عليه الآيات وحفظوه في الكنائس والمتاحف . وظهر على مسكوكاتهم قائماً فوق درجات معينة وحفروه في اختامهم^(٤) . وآثروا شكل صليب قسطنطين في الفوروم صليب انتصاره فأصبح شعار النصر والسلطة^(٥) .

ويرى العلماء الباحثون ان قسطنطين الخامس نفسه اجتهد في **اجتهاد قسطنطين وغروجه :** موضوع الايقونات وصنّف . وجاء في سيرة نيقيطاس لرئيس دير المذكيون (اوليبوس) ان قسطنطين اعد خطباً للدعاية تضمنت آراءه في تحريم الايقونات^(٦) . ولكن العلماء رجال الاختصاص ، وفي طليعتهم اوستروغورسكي الاستاذ في جامعة بلغراد ، يرون ان قسطنطين قسّ ونقّب وبجّ بالتعاون مع بعض الاساقفة فأطل على مجمع هيرية في

(١) OSTROGORSKY, G., *Studien zur Gesch. des Byz. Bilderstreites*, 67-69; *Die PseudoEpiphaniischen Schriften*, 47-61.

(٢) HOLL, K., *Die Schrifte des Epiphanius, Gesammelte Aufsätze zur Kirchengeschichte*; BREHIER, L., *Querelle des Images*, op. cit., V, 465-466.

(٣) BREHIER, L., op. cit., 466.

(٤) MILLET, G., *Les Iconoclastes et la Croix*, Bull. Corr. Hell., 1910, 96-109; GRABAR, A., *L'Empereur dans l'Art Byzantin*, Paris, 1936; EBERSOLT, J., *Sceaux Byzantins*, Rev. Numismatique, 1914, 139; JERPHANION, G., *Eglises Rupestres de Cappadoce*, II, 154-158.

(٥) GRABAR, A., *Théologie de la Victoire Impériale*, Rev. Hist., 1933; *Victoire Impériale dans l'Empire Chrétien*, Rev. Hist. Philol. Rel., 1933.

(٦) *Acta Sanctorum*, Aprilis, 18-27.

السنة ٧٥٤ بثلاث عشر رسالة في وجوب التحريم كان لها اثر بليغ في نفوس الاساقفة اعضاء هذا المجمع^(١). ونهج قسطنطين في معالجة موضوعه نهجاً خريستولوجياً خصوصياً فجعل من تحريم الايقونات مشكلة عقائدية من الطراز الاول .

ولا يفهم موقف قسطنطين فهماً علمياً كاملاً الا على ضوء اقوال الآباء قبله . فاقليس الاسكندري (٢١٥ +) فرّق بين الحقيقة والفن . وقال ان الحقيقة لا تنفصل عن المعقول . وبالتالي فن يعبد المصنوع من المادة يُحيط من قدر جوهر الله المعقول . وصورة الله بيننا هي النفس الطاهرة الصالحة^(٢) . ولام كلسوس الفيلسوف الوثني النصارى في اعراضهم عن التماثيل والصور . فانبرى اوريجانس الاسكندري (٢٥٤ +) يقول في الرد: إن تماثيلنا وعطايانا ليست من صنع الصناعات العشاء وانما هي فينا من صنع كلمة الله . هي الفضائل صورة « بكر كل خلق » منبع العدل والفضيلة والشجاعة والحكمة . . . وفي داخل كل من يتشبه به في هذه الامور تتماثل « على صورة الخالق » يقام بتأمل الله والاعتداء به بقلب نقي . وقصارى القول ان جميع المسيحيين يحاولون انشاء مثل هذه المذابح والتماثيل ، لا تلك التي لا حياة لها ولا احساس ، متكئين عليه الذي هو على صورة الخالق . وهكذا فان روح المسيح يحل على اولئك الذين يصبحون « مشابهين لصورته »^(٣) .

هذا كلام عالم النصرانية العظيم في القرن الثالث . واثر بولس ظاهر فيه ولا سيما في العبارات « بكر كل خلق » (كولوسي ١: ١٥) و « على صورة الخالق » (كولوسي ٣: ١) و « مشابهين لصورته » (افسس ١: ٥) وشارك مشوديوس اوليمبوس وارنوبيوس واستيريوس امامسية^(٤) اوريجانس في هذا فأروا في الانسان الصالح الفاضل صورة الخالق الحقيقية وقالوا مع بولس في الفصل الثالث من رسالته الاولى الى اهل كورنثوس : « أما تعلمون انكم هيكل الله وان روح الله مستقر فيكم » .

وفي اوائل القرن الرابع كتبت قسطنطية اخت قسطنطين الكبير وزوجة ليكينيوس شريكه في الحكم الى افسايبوس اسقف قيصرية فلسطين ومؤرخ الكنيسة الاول تطلب منه صورة السيد المسيح . فأجابها هذا الاسقف انه للسيد رسمين morphai احدهما الهى والآخر بشري . واضاف ان الرسم الالهى لا يعلمه الا الآب وبالتالي فانه لا يمكن تصويره . اما الرسم

(١) OSTROGORSKY, G., *The Byz. State*, 152-153; *Bilderstreit*, 8 ff.

(٢) CLEMENT OF ALEXANDRIA, *Stromata* I, VI, 5

(٣) ORIGENES, *Contra Celsum*, VIII, 17-19.

(٤) ASTERIUS OF AMASEA, *De Divite et Lazare*, *Patr. Gr.*, Vol. 90, Col. 168.

البشري فانه امتزج بالمجد الالهي فابتلع ابتلاءً. وبعد ان شجب استعمال الصور في الاوساط المسيحية المهرطقة خلص افسايبوس الى القول : « وفي نظرنا نحن فان هذه العادات محرمة . نحن نعتز ان السيد المخلص هو الله ونسعى لرؤيته بتطهير قلوبنا بكل نشاط لنتمكن من مشاهدته بعد الوصول الى هذه الطهارة لانه « طوبى لانتقاء القلوب فانهم يعاينون الله ». واذا كنتم انتم المسرفين تحترمون صور مخلصنا قبل ان تتمكنوا من مشاهدته وجهاً لوجه فأفضل المصورين كلمة الله نفسها»^(١) . وهكذا فان افسايبوس وافق اوريجانوس فربط قضية تصوير المخلص بالعتيدة اللاهوتية وآثر النص المكتوب على الصورة المرسومة .

ثم كان ما كان من أمر الطبيعة الواحدة والطبيعتين والمشيئة الواحدة والمشيئتين وتقديم الطبيعة الالهية والمشيئة الالهية على الطبيعة البشرية والمشيئة البشرية في المسيح فقال بعض من قال بهذا التقديم الى تحريم تصوير الاله « غير المنظور » . وكان في طليعة هؤلاء فيلوكسينس اسقف مبيج (٥٢٣ +) وصديق سويروس الانطاكي وحليفه . فانه اعترض على تصوير المسيح والملائكة والروح القدس (بهيئة حمامة)^(٢) . وأدى استمسك الكنيسة الجامعة بالطبيعتين والمشيئتين الى القول بتصوير المسيح الانسان لانه يرمز الى التجسد ميزة الدين الجديد .

وفي السنة ٦٩٢ جلس الآباء في القسطنطينية في المجمع البنديكطي للاشتراع فقالوا في القانون الثاني والثمانين : « يظهر الحمل في بعض الايقونات الموقرة مشاراً اليه باصبع السابق متخذاً رسماً للنعمة . وفي ذلك توقع لمجيء الحمل الحقيقي المسيح الهنا . ونحن نعتز بان الرسوم القديمة والرموز المسامة في الكنيسة هي نماذج الحقيقة ومثلها وبانها تكمل الناموس وتتمه . ولكن لكي يظهر الكمال للشعب كله ويتبين حتى في الصور فاننا نرتب منذ الآن ان يوضع شكل ناسوت المسيح الهنا الحمل الذي رفع خطايا العالم نصب الاعين بدلاً من الحمل القديم . فاننا ندرك بذلك سمو تواضع الاله الكلمة ونذكر حياته في الجسد وآلامه وموته الخلاصي وما تأتى عن ذلك من افتداء للعالم »^(٣) .

وجاء يوحنا الدمشقي (٧٤٩ +) ففرق بين الاصنام والايقونات ثم أبان ان الله خصَّ اليهود وحدهم في تحريم السجود للاصنام لانهم كانوا عرضة للارتداد . اما المسيحيون فانهم بعد ان لمسوا التجسد الالهي لمسأ أصبحوا في مأمن من الضلال لان غير المنظور صار منظوراً :

(١) *Patr. Gr.*, Vol. 20, Col. 1545-1550; FLOROVSKY, G., *Origen, Eusebius and the Iconoclastic Controversy*, Church History, 1950, 77-96.

(٢) DOBSCHUTZ, Ernest von, *Christusbilder, Untersuchungen zur Christlichen Legende*, 33; OSTROGORSKY, G., *Studien*, 24-28; TISSERANT, E., *Philoxenus, Dic. Th. Cath.*, XII, 1509-1532

(٣) *Mansi*, XI, Col. 977-980.

« واعبد مع الملك الاله ارجوان الجسد ، لا كوشاح ولا كاقنوم رابع ، وانما كظهور للاله... وهكذا فاني اصور الاله غير المنظور لا كاله غير منظور وانما كاله صار منظورا لاجلنا »^(١). ولا يخفى ان يوحنا اشار بالتعبيرين « الوشاح والاقنوم الرابع » الى هرطقتي اليعاقبة والنساطرة. وأحب قسطنطين الخامس ان يجادل المحللين ويناقشهم على مستوى أمتهم فاتجه في تفكيره ، فيما يظهر ، اتجاه ابوليناريوس اللاذقي في نزاعه مع من قال بالطبيعتين . والاشارة هنا الى ما جاء في كتاب الانكفاليوسيس Anacephalaeosis حيث قال ابوليناريوس : « وهل نعبد ايضا ناسوت المسيح او لا ؟ فاذا كنا لا نعبده فلماذا نقول ان الناسوت اتحد باللاهوت ولماذا نعتد بموته ؟ واذا كنا نعبد الانسان كما نعبد الله فنكون قد ألدنا في مساواة الخالق بالخلق »^(٢). وبمباراة اخرى فان ابوليناريوس احتج على اخصامه بالقول ان الاعتراف بالطبيعتين على طريقتهم يزيدي اما الى عدم اتحاد الطبيعتين او الى عبادة طبيعة المسيح البشرية . وكان يوحنا الدمشقي قد عالج هذه البدعة في كتابه الايمان بقوله : « واولئك الذين يدعون انه اذا كان للمسيح طبيعتان فاما ان نعبد المخلوق مع الخالق او ان نعبد طبيعة واحدة من الاثنين »^(٣). فتبنى قسطنطين الخامس هذه الحجة واستبدل الاشارة فيها الى الطبيعة البشرية بتصوير الناسوت فقال ان من يصور المسيح يرتكب واحدة من اثنتين اما القول بانفصال الطبيعتين واما نسبة خصائص الطبيعة البشرية الى الطبيعة الالهية . وحدد الصورة الحقيقية فأوجب ان تكون من نفس جوهر المصور وخلص الى القول بان للمسيح صورة واحدة فقط هي الخبز والخمر جسده ودمه . ووصم من صور جسد المسيح وأكرم صورته بالقول باقنوم رابع وبالخروج على مقررات المجامع والقول بامكانية حصر الله والاحاطة به وهو خروج والحاد . وأضاف : « وهكذا فان اخصامي هم اما نساطرة واما يعاقبة ا »^(٤) ويرى بعض العلماء ان قسطنطين جاري اليعاقبة ولكنه لم يجر بقولهم . ودليلهم على ميله الى القول بالطبيعة الواحدة انه آثر اللفظ Prosopon « الوجه » على اللفظ upostasis « الاقنوم » والعبارة ex duo phuseon « من طبيعتين » على العبارة en duo phusesin « في طبيعتين »^(٥). ويرى هؤلاء العلماء في تبجيل ميخائيل السرياني لقسطنطين دليلاً آخر على جنوحه نحو اليعاقبة .

(١) Patr. Gr., Vol. 94, Col. 1236; De Fide Orthodoxa, III, 8; P.G., Vol. 94, Col. 1013-1016.

(٢) LIETZMANN, Ed., Apollinaris von Laodicea und seine Schule, I, 28, 245.

(٣) De Fide Orthodoxa, III, 8; P.G., Vol. 94, Col. 1105.

(٤) OSTROGORSKY, G., Studien zur Gesch. des Byz. Bilderstreits, 8-40; ALEXANDER, P., Patriarch Nicephorus, Ecc. Policy and Image Worship in the Byz. Emp., Oxford, 1958, 48-53.

(٥) OSTROGORSKY, G., op. cit., 19, 25-26.

فيخائيل رأى فيه « رجلاً مثقفاً استصوب على. ارادته التعابير التي دونها الارثوذكسيون » ! اي العاقبة^(١). ولم يقف قسطنطين عند هذا الحد فانه لم يعترف بشفاعة العذراء والقديسين ولم يرضَ عن استعمال اللفظ « القديس » agios في الاشارة اليهم^(٢). و اشار الى السيدة والدة الاله بالعبارة والدة المسيح فشايح النساطرة!^(٣)

٧٥٤) وبعد ان تثبت قسطنطين من موقف جيشه وموقف عاصمته ومجاراة **مجمع المبطلين**: الاكليروس وبعد ان وُضِبَ ملفاته دعا الى مجمع حمل لقب المسكوني ليتخذ قراراً مسكونياً بشجب تصوير المسيح والقديسين وأكرام صورهم .

ويختلف العلماء في تاريخ انعقاد هذا المجمع . فان بيوري وهورت يريان ان اسطفانوس الثاني بابا رومة علم بما تم في هذا المجمع قبل استغاثته بالافرنج على اللومباردين فيذهبان الى القول بان المجمع عقد في السنة ٧٥٣^(٤). ولكن الاب غرومل بعد اطلاعه على محفوظات البطريركية المسكونية جعل تاريخ الانعقاد بين العاشر من شباط والثامن من آب السنة ٧٥٤^(٥).

ولبي الدعوة ثلاث مئة وثمانية وثلاثون اسقفاً! وامتمعت رومة والاسكندرية وانطاكية واورشليم عن الاشتراك . وتوفي البطريرك القسطنطيني انسطاسيوس قبيل انعقاد هذا المجمع فترأس الجلسات ثيودوروس متروبوليت افسس احد زعماء حركة التحطيم منذ عهد لاوون الثالث وابن الامبراطور انسطاسيوس الثاني المخلوع . واشهر الاعضاء سيلسينيوس متروبوليت برجه وباسيليوس متروبوليت انطاكية بسيدية. ومكان الاجتماع قصر هيرية Hieria على ضفة البوسفور الاسوية بالقرب من خلقيدونية .

واتخذ الاعضاء لمجمعهم لقب المجمع المسكوني السابع . وزاولوا الاعمال ستة اشهر متتالية . ولعل السبب في ذلك امتناع جمهور الاساقفة عن موافقة قسطنطين في بعض ما ذهب اليه ولا سيما في موقفه من قضية الطبيعتين ومن القول ان السيدة هي والدة الاله . والدليل على انهم لم يشايعوه في هذا قولهم « ان مريم والدة الاله هي فوق الخليقة كلها وانما تشفع مع جميع القديسين بالبشر »^(٦).

(١) Michel le Syrien (Chabot), II, 523.

(٢) Vita Nicetae, XXVIII.

(٣) THEOPHANES, Chron., a. 6218, 6258-6259.

(٤) BREHIER, L., Querelle des Images, op. cit., 468.

(٥) GRUMMEL, Echos d'Orient, 1934, 406-407.

(٦) Mansi, XIII, Col. 335, 347-348.

وجاء في اوروسoros هذا المجمع اي في قراره النهائي ان الشيطان جرّ الكنيسة الى عبادة الاوثان وأن المسيح حرك الفسالة الاتقياء وسأحهم بنعمة الروح القدس ليقتضوا على عبادة الاوثان الجديدة على صور المسيح التي اتخذت شكلاً هرطوقياً وعلى الاساءة الى العذراء والقديسين بتصوير اجسادهم الارضية . وحرم المجمع كل من يصور ايقونة او يكرمها او يضعها في كنيسة من الكنائس او في بيت من البيوت او يقتنيها او يخفيها . ووجب معاقبة المعارضين واعتبرهم خارجين على القانون واعداء لله وللعقيدة التي علم بها الآباء . وخصّ المجمع الفيلسوف والبطريرك بتنفيذ قراراته . فمنع اي تغيير في الكنائس دون موافقة الفيلسوف او البطريرك . وحرم تدينس الكنائس ونهبها او تخريب ما فيها .

وفي الثامن من آب انتقل المجمع الى كنيسة السيدة في بلاخيزنة فقدم الفيلسوف البطريرك الجديد قسطنطين الثاني^(١) . وفي السابع والعشرين ذهب الفيلسوف والبطريرك الى الفوروم فتليت بحضورهما قرارات المجمع ورُشق جرمانوس « عابد الحُشب » بالحرم وكذلك يوحنا الدمشقي « صديق الاسلام وعدو الدولة ومحرف الاسفار المقدسة » وجاورجيوس القبرصي^(٢) . وتسأح الفيلسوف بقرارات المجمع فاعتبر كل معارض لها خارجاً على الدين والدولة^(٣) .

وتتقوى قسطنطين بهذه القرارات ولكنه لم يبدأ فور ظهورها **غبط قسطنطين وبلاخيزنة** : فالخطر البلغاري قضى بالتريث والمحافظة على السلم في داخل الدولة . وفي السنة ٧٦١ قضى بطرس البلاخيزني واندراس الكليبي تحت اسياط الجلادين لانها عارضا النسيلفس ورأيا فيه والنسأ اويوليانوساً جديداً^(٤) . ثم انتصر قسطنطين على البلغاريين فأصدر في السنة ٧٦٦ التيسموس كاثوليكوس Thesmos Katholikos وهو قانون اوجب على جميع الرعايا ان يقسموا بالله بانهم لن يعبدوا الايقونات^(٥) . وكان البطريرك قسطنطين الثاني اول الخالفين . فانه علا الامبون في كنيسة الحكمة الالهية وأمسك ذخيرة الصليب المقدس وأقسم انه لم ولن يعبد الايقونات وامتنع كثيرون ، وبينهم الاعيان والضباط والجنود ، عن الحلف **فحل** بهم العذاب ملوناً تلويماً^(٦) .

THEOPHANES, *Chron.*, a. 6245; NICEPHORE, *Brev.*, 66. (١)

THEOPHANES, *Chron.*, a. 6245; NICEPHORE, *Brev.*, 66. (٢)

BREHIER, L., *op. cit.*, 470; DIEHL, C., *Séances, Acad. Insc. et Belles-Lettres*, 1915, 138. (٣)

THEOPHANES, *Chron.*, a. 6253. (٤)

DOLGER, F., *Reg.*, 324; THEOPHANES, *Chron.*, a. 6257. (٥)

THEOPHANES, *Chron.*, a. 6257; NICEPHORE, *Brev.*, 73. (٦)

وصبَّ قسطنطين غيظه وبلاءه على الرهبان . فكم عين قلع وكم يدر واذن قطع فضلاً عن قتلهم . واستعرض مرة فئمة منهم في ميدان الهيودروم ووجب على كل منهم ان يمسك بيد امرأة في اثناء العرض . ثم استعرض في الميدان نفسه عشرين وجيهاً وموظفاً بتهمة التأمر على الفيلسوف واتباع اسطفانوس الجد او الاصغر . وبعد اهانتهم سمل اعينهم وضرب عنق اثنين منهم . وفي الحامس عشر من تشرين الاول سنة ٧٦٧ أمر بقطع راس البطريك قسطنطين الثاني . فنفذ الامر في الهيودروم وعرض رأس البطريك عند مدخل البطريكية وجُرت جسسه الى البلاجية مقر المحرمين والكفرة^(١) . واقام الفيلسوف الحصي نيقيطاس بطريكاً على القسطنطينية وبلغ الاضطهاد الذروة فنبتت عظام القديسة الشهيرة افيمية من مرتريون خلقيدونية ، حيث اجتمع الآباء القديسون في السنة ٤٥١ ليقروا اعمال المجمع المسكوني الرابع ، ورميت في البحر فحملتها الامواج الى جزيرة لمنوس^(٢) . وحُرمت الصلاة للقديسين ونبتت قبورهم^(٣) . وفي السنة ٧٧٠ جمع ميخائيل لاخانوذر اكون حاكم ازمير وافسس رهبان ولايته وراهباتها وأمرهم بان يرتدوا الابيض ويتزوجوا حالاً . ومن لم يطع فتسمل عيناه ويقضى الى قبرص . فاستشهد بعضهم وأطاع آخرون^(٤) . فهناهُ قسطنطين قائلاً : لقد وجدت في شخصك رجلاً يجب ما احب وينفذ جميع رغباتي^(٥) . وصادر قسطنطين املاك الاديرة وضماً الى املاك الدولة . وفرَّ عدد كبير من الرهبان الى ايطالية وجنوبي روسية وشاطى . لبنان وفلسطين . ويقدر الاستاذ اندريف الروسي عدد الذين فروا الى ايطاليا بنحسين الفاً^(٦) .

(٧٦٤) واشهر الشهداء في هذه الفترة من تاريخ الكنيسة الجامعة اسطفانوس الاصغر : اسطفانوس الاصغر او الجديد كما ينص التقليد . وقد سبقت الاشارة الى مولده وحدائه ودخوله الدير المقدس . وحرص قسطنطين الفيلسوف على استماتته واوفد اليه كليستوس احد رجال البلاط . ولكن اسطفانوس رد الرسول والهدايا وصرَّح ان اكرام الايقونات صحيح حسن . فغضب قسطنطين وسجنه في دير منفرد . وضيق عليه في المأكل

THEOPHANES, *Chron.*, a. 6257, 6259. (١)

THEOPHANES, *Chron.*, a. 6258. (٢)

DOLGER, F., *Reg.*, 327; HAMARTOLOS, G., (Boor), 751. (٣)

THEOPHANES, *Chron.*, a. 6262. (٤)

THEOPHANES, *Chron.*, a. 6263. (٥)

ANDREEV, I., *Gerlanus and Tarasius*, 78. (٦)

والمشرب . ثم سخرَ كليلستوس رهباناً ليفتروا عليه في اخلاقه الشخصية . فتألم اسطفانوس ولكنه بقي صامتاً مسلماً أمره الله . ثم عاد الفيلسوف وأرسل اليه بعض الاساقفة ليحملوه على الانضمام اليهم فلم يفلحوا فرفسه احدثهم برجله فقبل الالهانة بهدوء . وسكينة . ونقل من جزيرة خريسوبول الى جزيرة بروكونيز فلجأ الى احد كهوفها . فتبعه بعض الرهبان من تلاميذه وحلوا الكهف المقفر الى كنيسة منعشة بانعامها ونشائها . فاستقدمه الفيلسوف وازدراه ووجهه وشتمه . فاخذ اسطفانوس قطعة من النقود فحمل رسم قسطنطين وداسها . فغضب الفيلسوف . فقال القديس : « اذا كنت تغضب لاهانة صورتك فكيف لا يغضب السيد المسيح ووالدته الطاهرة وملائكته وقديسوه لما يفعل عمالك بالايقونات » . فأمر الفيلسوف بسجنه مع اللصوص والقتلة . فوجد القديس بين هؤلاء ثلاث مئة واربعين راهباً . فتحول السجن الى دير . ولبث اسطفانوس سنة كاملة فيه . فأمر الفيلسوف بقتله ضرباً بالعصي ولكن الجند تهيّبوا . فجزّ بالازقة والشوارع . ومرّ امام كنيسة القديس ثيوذوروس فرسم شارة الصليب ففجأه احدثهم بضربة على رأسه فنقله الله الى دار كرامته^(١) .

(١) Vita Stephani, P.G., Vol. 100, Col. 1145-1180; VASILIEVSKY, V.G., *The Life of Stephen the Younger*, "Works," II, 1909.

اطلب ايضاً موجزاً لطيفاً في السنكسار لسيادة المطران ميشال عساف ج ١ ص ١١٧ - ١٢٣ تحت ٢٨ تشرين الثاني .

الفصل الرابع المجمع المكوني السابع

٧٨٧

لاووه الحزري وابرينه: وشتها قسطنطين الخامس حرباً جديدة على البلغاريين. فرض وانحنه المرض فاوقف الحرب وعاد الى القسطنطينية . وقبل أن يصلها حضرته الوفاة فلجأ الى من حارب طوال حياته الى والدة الاله نصيرة المسارعين اليها ورجاء اليانسين . ولفظ نفسه في الرابع عشر من ايلول سنة ٧٧٥^(١) . فخلفه ابنه لاوون الرابع الحزري . وكان لاوون مثل والده يرفض الايقونات ولكنه كان لئن الجانب^(٢) . وبعد خمس سنين خلف لاوون ابنه قسطنطين السادس وله من العمر عشر سنوات .

وتولت ايرينة الفيلسفة الحكم باسم ابنها قسطنطين . وكانت ائنية مستقيمة الرأي تحب الايقونات وتكرمها . واكتنها رأيت منذ بداية عهدا ان الجيش ما يزال معادياً للايقونات وان الصقابة في غليان مستمر وان العرب المسلمين في طمع متزايد فأرجأت النظر في اعادة الايقونات الى مكانتها الى وقت آخر .

مواصله بعد قطيعة : وكانت رومة قد قاطعت القسطنطينية منذ ان حل انسطاسيوس محل جرمانوس في رئاسة كنيسة القسطنطينية . وكان غريغوريوس الثالث بابا رومة قد لعن محطمي الايقونات في السنة ٧٣١ . وكان اسطفانوس الثالث قد رد على

THEOPHANES, *Chron.*, a. 6267. (١)

Ibid., a. 6268. (٢)

مقررات مجمع التحطيم بقرارات مجمع محلي عقد في السنة ٧٦٩ . وكان بطاركة الشرق قد وافقوا اخاهم بابا رومة في موقفه هذا .

وفي ربيع السنة ٧٨١ انجبه اثنان من كبار رجال البلاط القسطنطيني الى الغرب ليخطبا اروثة (روتودة) بنت كارلوس الكبير لقسطنطين السادس . فوافق كارلوس^(١) . ولا يستبعد ان يكون هذان الموظفان الكبيران قد اتصلا بادريانوس الاول بابا رومة واطلماه على ما كانت تكنه ايرينة من احترام للايقونات ولا سيما وان الاتفاق مع كارلوس الكبير قضى بان تتعلم اروثة اللغة اليونانية وتتدرب في الطقس البيزنطي .

وتطورت الظروف وتراذفت النعم فأحرز الجيش انتصارات جديدة في آسية في ظل الوصية ايرينة . وشاخ بولس الرابع بطريك القسطنطينية وقارب الوصية . فندم على ما كان منه . وتكشفت له عقبي يمينه التي أقسم عند وصوله الى السدة البطريركية . واستوخم غيب القطيعة التي وقعت بينه وبين اخوته البطاركة الاربعة . ففاجأ في ايار السنة ٧٨٤ رجال الدين والدولة بالتخلي عن الرئاسة والالتجاء الى دير يتندم فيه ويستعد للملاقاة ربه . ثم نصح الفيلسفة ان تتدارك الامر فتسمى الى عقد مجمع مسكوني تشترك في اعماله البطريركيات الاربعة الاخرى لتلافي ما وقع من التقصير . فاعتبطت الفيلسفة واستبشرت وكتبت في التاسع والعشرين من آب سنة ٧٨٤ باسمها وباسم ابنها قسطنطين السادس الى البابا ادريانوس الاول تقول انه بعد التشاور مع رجال الشعب والكنيسة استحسنت حكومتها دعوة اجبار الكنيسة الى مجمع مسكوني وانها ترجو البابا ان يشترك في اعمال هذا المجمع بنفسه او ان يوفد من يمثله من رجال العلم مزودين برسائل ثبوتية لاثبات عقيدة الآباء . واقتلاع الزيزانيون اي الاعشاب المضرة . فينتهي عندئذ الشقاق وتتحد الكنيسة برئاسة المسيح رئيسها الاوحد^(٢) .

(٧٨٤-٨٠٦) وتوفي البطريرك بولس الرابع في اوائل ايلول من **البطريرك طراسيوس** : السنة ٧٨٤ . فرأت الفيلسفة ايرينة ان يصار الى انتخاب خلف له من الاوساط الشعبية العالية لا من الاكليروس لتضمن بذلك عودة الى الرأي القويم . فدعت الى اجتماع الوجوه والاعيان في القصر ومجثت معهم امر انتقاء خلف صالح لبولس المتوفى فأجمعوا على رفع طراسيوس سكرتير asecretis الفيلسفة الى السدة البطريركية . فذكر طراسيوس الشقاق الذي كان قد حل في الكنيسة الجامعة وكيف ادى الى انزال

THEOPHANES, Chron., a. 6274; DOLGER, Reg., 339. (١)

DOLGER, F., Reg., 341; Mansi, XII, Col. 984; P.G., Vol. 129, Col. 199. (٢)

كنيسة القسطنطينية عن شقيقتها الكبرى واوجب اللجوء الى مجمع مسكوني يُضيء بعد التعير . ووضح انه لن يقبل المركز الا على هذا الاساس . فاعترض بعضهم فرداً طراسيوس حججهم عليهم فتبوا السدة البطريكية في يوم عيد الميلاد من السنة ٧٨٤^(١) .

وما ان تسلم طراسيوس عكاز الرعاية حتى بادر الى تحرير رسائل الجلوس ووجهها الى اخوته البطاركة الاربعة وضمنها اعترافاً واضحاً بشفاة العذراء، والملائكة والقديسين وباحترامه للايقونات التي تمثلهم ولا سيما ايقونة السيد المسيح^(٢) . وكتبت الفيلسفة الوصية الى بطريك رومة تعلن ارتقاء طراسيوس وتدعو الى مجمع مسكوني . وقد ضاع نص هذه الرسالة ولم يبقَ منها سوى ما جاء في رد ادريانوس بابا رومة^(٣) . ويلاحظ ان رجال الاختصاص يختلفون في تأريخ بعض الرسائل التي تبودت في هذه الحقبة^(٤) .

ردود البطاركة : وكانت المواصلات بين الشرق والغرب لا تزال صعبة فلم يرد بابا رومة ادريانوس الاول قبل السادس والعشرين من تشرين الاول سنة ٧٨٥ . ففي هذا التاريخ حرر رسالتين واحدة الى ايرينة وابنها قسطنطين السادس والاخرى الى طراسيوس بطريك القسطنطينية^(٥) . ووافق على عقد مجمع مسكوني وعين ممثليه القسين بطرس وبطرس وبين الاسباب التي حدثت به وبكنيسة رومة لآكرام الايقونات واحترامها . ثم أسف للتغيرات التي اجراها لاوون الثالث في حدود البطريكيات وأظهر رغبته في ابقاء القديم على قدمه واعادة ما سلخ عن بطريكية رومة اليها . وأسف ادريانوس ايضاً للخروج على التقليد بترقية علماني الى السدة البطريكية وبالإشارة اليه باللقب البطريك المسكوني رغم اعتراض البابا غريغوريوس العظيم على ذلك . ووافق كل من ابوليناريوس البطريك الاسكندري وتيودوريطس البطريك الانطاكي والياس البطريك الاورشليمي على عقد المجمع وعينوا من يمثلهم فيه وأسفوا لضغط السلطات المحلية وعدم السماح لهم بالاشتراك بانفسهم في اعمال المجمع المرتقب . ومثل توما سيده بابا وبطريك الاسكندرية وناب عن تيودوريطس البطريك الانطاكي السنكلوس يوحنا^(٦) .

(١) Mansi, XII, Col. 986; THEOPHANES, Chron., a. 6277.

(٢) Mansi, XII, Col. 1119 ff; GRUMEL, Reg., 351, 352.

(٣) DOLGER, F., Reg., 343; Mansi, XII, Col. 1056.

(٤) DOLGER, F., Reg., 339, 341; AMANN, E., L'Epoque Carolèngienne; FLICHE et MARTIN, VI, 113-114, notes.

(٥) JAFFE-WATTENBACH, Regesta Pontificum Romanorum, 2448, 2449.

(٦) Mansi, XII, Col. 1127-1146.

جلسة كنيسته الرسل : وفي اول آب سنة ٧٨٦^(١) تكامل عدد المدعويين الى المجمع فاجتمع الاساقفة الاعضاء في كنيسة الرسل في القسطنطينية بحضور ايرينة وقسطنطين السادس . وبدأ الآباء بدرس نصوص الاسفار المقدسة موضوع البحث في اكرام الايقونات او عدم اكرامها . وما كادوا يبدؤون حتى فوجئوا بتدخل مسلح قام به بعض كبار رجال الجيش ولا سيما ضباط الحرس الذين هددوا البطريك والاساقفة ورؤساء الرهبان بالموت ان هم عادوا الى اكرام الايقونات واحترامها . وعبثاً حاولت الفلسفة اعادة النظام الى الجلسة . وعبثاً حاول البطريك اعادة السكوت . فالجند وبعض الاساقفة قاطعوه بالصراخ والضجيج . فأجلت الجلسة وتوارى الاساقفة القويمو الرأي مسرعين مهرولين نحو مراكز ابرشياتهم^(٢) .

وعالجت ايرينة الموقف فانفذت بعض الجنود والمتمردين الى آسية لمحاربة المسلمين عند الحدود^(٣) . واستعانت بمن اتسمت من جنود تراقية وجردت من تبقى من العناصر المتمردة من السلاح واعادتهم الى مواطنهم مع عائلاتهم^(٤) . ولما تم لها ذلك عادت فدعت الآباء الى الاجتماع ثانية في ايار السنة ٧٨٧ . وتجنبت العاصمة فجعلت نيقية مقر المجمع . وكانت وفود البطارقة لا تزال في العاصمة . اما وفد رومة فانه كان قد وصل الى صقلية . فعاد الى الشرق وافتتح المجمع المسكوفي السابع في نيقية في الرابع والعشرين من ايلول سنة ٧٨٧ .

جلسات نيقية : وأمّ نيقية ثلاث مئة وخمسون اسقفاً او اكثر وعدد كبير من الرهبان . وناوب عن باب رومة القسان بطرس وبطرس وعن البطارقة الثلاثة الشرقيين القسان توما ويوحنا . وتولى الرئاسة طراسيوس البطريك القسطنطيني .

وعقد المجمع ثمانى جلسات في اربعة اسابيع . واشترع اثنين وعشرين قانوناً . وخطب البطريك الرئيس في الجلسة الاولى خطبة وجيزة . ثم قرئ كتاب قسطنطين السادس الفيلسوف ووالدته ايرينة . فجاء هكذا : « اننا قياماً بالوصية الانجيلية وصية المسيح رئيس الكهنة الابدي قد اعتنينا في ارجاع السلام الى الكنيسة . فبرضاه ومسرته قد جمعناكم انتم كهنته الجزيل برکم الحافظين عهده بذبائح غير دموية ليكون حكمكم حكم المجمع المستقيمة

GRUMEL, Reg., 355. (١)

THEOPHANES, Chron., a. 6278. (٢)

OSTROGORSKY, G., The Byz. State, 158. (٣)

AMANN, E., Querelle des Saintes Images; FLICHE et MARTIN, op. cit., VI, 117. (٤)

الرأي وليشرق نور الروح على الجميع . ثم دَوّن كلام طراسيوس قبل قبوله الشرطونية : « اني ارى وانظر كنيسة المسيح المؤسسة على الصخرة التي هي المسيح الهنا مقسومة الآن ومنشقة . واننا نحن كنا نقول قبلاً غير ما نقول الآن . ومسيحيو الشرق المائلون لنا الايمان يقولون قولاً آخر . ووافقهم مسيحيو الغرب . ونحن غرباء عنهم جميعاً . وكل يوم نحوم من الجميع . فاطلب عقد مجمع مسكوني يحضره نواب عن بابا رومة وعن رؤساء كهنة الشرق » . ثم قرئت رسائل البابا وسائر البطاركة . ونظر المجمع بعد ذلك في أمر الاساقفة المتدعين . فأراد طراسيوس ان يتجنب الجدل اللاذع . فعارضه في ذلك الرهبان . ثم أقنع هؤلاء . بوجود السكوت . فدخل الاساقفة المتدعون واعترفوا بغلطهم وقدموا ندامة ورفضوا اعترافات ايمان مستقيم . وفي مقدمة هؤلاء باسيلوس اسقف أنقرة . وقد قال في كتابه : « انا باسيلوس اسقف مدينة أنقرة قد اخترت ان انحد بالكنيسة الجامعة اعني ادرينانوس بابا رومة الجزيل القداسة و طراسيوس البطريرك الجزيل القبطة والكراسي الرسولية الجزيلة القداسة كرسي اسكندرية وانطاكية والمدينة المقدسة وسائر رؤساء الكهنة والكهنة الارثوذكسين . وقدمته اليكم انتم الذين نلتهم السلطان عن الاصل الرسولي » .

وفي الجلسة الثانية قرئت رسائل البابا والبطاركة الآخرين . ومما جاء في رسالة البابا الى الفيلسوف وايريته انه نائب الرسولين بطرس وبولس هامتي الرسل وان سلطان الحل والربط منح لها وانه يتامى هو واخوته الاساقفة على اقدام الفيلسوف ووالدته الفيلسفة متضرعاً ان يعيدا السجود للايقونات المقدسة . وتكلم في رسالته الى طراسيوس قائلاً : « وبما ان برحم قريب من الاقدام السامية اقدم ملوكنا العظام الجزيل تقواهم المتوجين من الله تضرعوا اليهم عنا . . . ان يأمرؤا باعادة الايقونات المقدسة الى مركزها القديم في مدينة العاصمة وفي كل مكان » . ثم سأل الآباء البطريرك هل يوافق ادرينانوس بابا رومة . فأجاب انه يوافق وانه هو نفسه فحص وبحث وتعلم واعترف ويعترف وسيعترف بصحة ما قاله ادرينانوس قابلاً للايقونات المصورة على تسليم الآباء . وسأل هؤلاء الآباء المجمع هل يوافقون . فأجاب الآباء الاعضاء بالايجاب . فقال القس يوحنا احد ممثلي البطاركة الشرقيين : « يليق بنا ان نؤم زوراً الرحمة والحق تلاقيا والعدل والسلام تلامناً باتفاق رأيهما وتعليمهما . والاشارة هنا الى ادرينانوس بابا رومة و طراسيوس بطريرك القسطنطينية .

واقراً الآباء في هذه الجلسة الثانية واعترفوا بانهم يقبلون التصاوير المجازية عملاً بالتقليد القديم الموروث عن الآباء القديسين وبانهم يسجدون لها باحترام نسي لانها صنعت « على اسم

المسيح معنا وعلى اسم سيدتنا والدة الاله القديسة وعلى الملائكة القديسين وجميع القديسين « ولكنهم يخصون الله وحده بالعبادة والايان^(١) .

وفي الجلسة الثالثة قرئت رسالة طراسيوس الى البطاركة واجوبتهم عنها. واعترف الآباء في الجلسة الرابعة بشفاعة والدة الاله سيده المخلوقات جميعها وبشفاعة الرسل والانبياء والشهداء والآباء المعلمين وجميع القديسين. وكررو الاعتراف باكرام الايقونات وتقبيلها . وألقوا قرارات مجمع السنة ٧٥٤ وفسدوا قوانينه لانه لم يشترك في اعماله البابا والبطاركة ولم يوافقوا عليها^(٢) . وفي الجلسة السادسة قرئ قرار مجمع هيرية ونقض .

وفي الجلسة السابعة تلي السونوذيكون فأوجب المجمع فيه تقبيل الايقونات والسجود الاكرامي لها احتراماً للذين صوّرت عليهم لا عبادة لهم لان العبادة انما تجب لله وحده دون غيره . ثم حرم المجمع البطاركة انسطاسيوس وقسطنطين ونيقيطاس وجميع محاربي الايقونات وكرروا حرم المهرطقة السابقين وبينهم البابا اونوريوس . وحدد المجمع وجوب حفظ التسليم الكنائسي بلا احداث او تغيير. ووجوب حفظ دستور الايمان النيقاوي بلا زيادة ولا نقصان^(٣) . ثم كتب البطريرك طراسيوس رئيس المجمع الى الفسيلس والفسيلسة والى اكلديوس العاصمة يبشر باعمال المجمع وانتهاء جلساته . فدعت الفسيلسة المجمع الى العاصمة واستقبلت اعضاءه استقبالاً فضماً . وفي يوم معين عقدت جلسة تامة في البلاط في قصر المغنابرا بحضور الفسيلس ووالدته الفسيلسة وقرئت الاعمال وصدق عليها منها . ثم رفع الآباء اصواتهم بالدعاء للاهلين الكبارين وبالذكر المؤبد للبطريرك جرمانوس وليوحنا الدمشقي^(٤) . واشترع المجمع المسكوني السابع اثنين وعشرين قانوناً لاعادة النظام الى الكنيسة بعد التغييرات والتبديلات التي تمت في عهد محطمي الايقونات^(٥) .

كارلوس الكبير والمجمع : وكتب البابا ادريانوس اخبار هذا المجمع من كارلوس الكبير وطواها طوال مدة انعقاد المجمع . ثم سمح بنقل القرارات الى اللاتينية فنقلت مشوهة . وانتشر امرها فوصلت شنيعة الى بلاط الافرنج . فاستنكف علماء هذا البلاط للكنيسة منها وهبوا يأنفون ويتكرمون . ودفعوا بها الى الكوينوس عبر بحر

(١) Mansi, XII, Col. 1086; AMANN, E., *op. cit.*, VI, 118.

(٢) Mansi, XIII, Col. 132.

(٣) الكثر الثمين لبطرس نتشايف ص ٢٩٠-٢٩٩

(٤) Mansi, XIII, Col. 377 ff.

(٥) Mansi, XIII, Col. 413-418; THEOPHANES, *Chron.*, a. 6280.

المانش لتفنيدها والرد عليها . فعكف هذا العالم على ما تسلم ورد رداً طويلاً تحت العنوان Capitulare de Imaginibus . وعرف مصنفه هذا بالكتب الكارولية . وظهر كارلوس في هذه الكتب الكارولية بظهور الحكم بين آباء مجمع هيرية وآباء مجمع نيقية . وأغضى على أعمال اولئك وعاب هؤلاء . واتهمهم بالافتراء على الاسفار المقدسة واقوال الآباء . وفي السنة ٧١٤ دعا كارلوس الى مجمع غربي في فرانكفورت للنظر في بدعة التبي التي كانت قد شاعت في اسبانية بعد دخول المسلمين اليها وفي قرارات المجمع المسكوني السابع . وعلى الرغم من وجود ممثلي البابا فان هذا المجمع شجب اعمال المجمع المسكوني^(١)

وذهب العالم الهوتستانتي الالماني ادولف فون هارنك (١٨٥١-١٩٣٠) **اجنراه بروتستاني** : الى ابعد من هذا . فرأى اختلافاً اساسياً بين موقف الكنيسة اليونانية وموقف شقيقتها اللاتينية من الايقونات . فالكنيسة اليونانية في نظره كانت قد قدمت الخلاص من الموت على الخلاص من الخطيئة فرجبت بكل ما كان من شأنه ان يؤكد الخلود بعد الموت او يصفه وصفاً مؤثراً في النفوس وراحت تزين الكنيسة بطقوسها تزييناً يترك في نفوس المؤمنين نموذجاً مما سيلاقونه من فرح دائم بعد الانتقال الى الحياة الابدية . ثم ذهب علماءها منذ القرن السادس يربطون هذه الطقوس بالمقيدة فيضعونها على مستوى واحد مع الاسرار المقدسة . فأصبح القول باكرام الايقونات جزءاً من الخريستولوجية الشرقية . وتجلت اهمية الايقونات عند الجماهير بغيره الحامين عنها وكره المؤمنين بها لكل من عاها .

اما في الاوساط اللاتينية فان الخوف من الخطيئة كان اشد من الخوف من الموت . فتساوى الخلاص والتحرر من الخطيئة ولمس المؤمنون شيئاً من الخلاص في حياة ارضية ملانة بالايمان والرجاء والمحبة . فقلت اهمية الايقونات ولم تناظر الاسرار . ولم يتقن الآباء اللاتينيون الناحية اللاهوتية من قضية الايقونات ولم تثر هذه القضية الاحقاد والضغائن في الغرب كما اثارها في الشرق . واكتفى علماء اللاهوت في الغرب باعتبار الايقونات اداة فعالة للتهذيب الديني^(٢) .

AMANN, E., *Querelle des Saintes Images*, op. cit., VI, 120-127. (١)

HARNACK, A. von, *Der Geist der Morgenlandischen Kirche im Unterschied von der Abendlandischen*, Sitz. der Kgl. Preus. Akad. der Wissenschaften, 1913, 157-183; MARTIN, E.J., *Hist. of the Iconoclastic Controversy*, 222-273; BREHIER, L., *Querelle des Images*, 57-62. (٢)

الفصل الخامس

الاسرة العمورية وابطال الابطونات

٨١٣-٨٤٣

سقوط ايرينه : واستمسك البطريك القسطنطيني باللقب « البطريك المسكوني ». وظلت الابريشيات التي سلخها الفسيلفس المحطم لاوون الايسوري عن كنيسة رومة خاضعة لسلطة بطريك القسطنطينية . وتعاضم شأن الافرنج في الغرب ولع كارلوس الكبير وعلت مكانته . ولم تسفر سياسة التقارب بين ايرينه وبين كارلوس وفسخت الخطبة بين قسطنطين السادس ابن ايرينه وبين روتروده بنت كارلوس . وتزوج قسطنطين السادس من مريم الارمنية . فغضب كارلوس لكرامته ومصالحته ودعا الى مجمع فرانكفورت (٧٩٤) وشجب اعمال المجمع المسكوني السابع . وسكت ادريانوس بابا رومة عن هذا الشجب على الرغم من اشتراكه في المجمع المسكوني !

وكثرت الدسائس والمناورات في بلاط الروم . وطمعت ايرينه في السلطة ، وجافاها ابنها قسطنطين . ثم عبث بقوانين الكنيسة وطأق مريم الارمنية وتزوج ثانيا فضجت الاوساط الاكليريكية الارثوذكسية بالاحتجاج واللوم . وطافا قسطنطين وتجهر فأبعده ايرينه عن الحكم (٧٩٧) وسملت عينيه . واستأثرت بالسلطة فخرجت بذلك على العرف والتقليد . واستغل كارلوس هذا الظرف فاعتبر عرش الامبراطورية شاغراً . وماشاه في ذلك لاوون الثالث بابا رومة . فتوج كارلوس في عيد الميلاد من السنة ٨٠٠ امبراطوراً . فرأى الروم في ذلك خروجاً وتوقعوا زحف كارلوس الى الشرق . وفاوض كارلوس ايرينه في الزواج ونظرت ايرينه الى

هذا الاقتراح بين الرضى فائرت مخاوف بعض الهيئات الدينية والزمنية. ثم حاولت استرضاء بعض الاوساط فخفضت الضرائب فقلَّ دخل الخزينة . وتفاوضت عن مطامع هارون الرشيد في قيليقية . واستقدم هذا الخليفة عناصر من الجند خراسانية واقامهم في طرسوس وضواحيها فهددوا الامن في حدود الروم الجنوبية. فاشتدت المعارضة لحكم ايرينة وتآمرت بعض عناصر البلاط فخلعت ايرينة في السنة ٨٠٢ وأبعدت الى جزيرة الامراء ثم الى لسبوس وتوفيت بعد حين^(١) .

نيقفوروس ونيقفوروس : واستطاع نيقفوروس السامي او العربي ان يُبعد ايرينة عن الحكم فجاهد في سبيل الخزينة وفرض ضرائب جديدة خصَّ بها الاغنياء لتعبئة الجيش وتسليحه. وأخذ الثورات التي اشعلها الضباط الساخطون ولكنه لم يوفق في حروبه الخارجية .

واعتمد نيقفوروس في سياسته الدينية . فقال باكرام الايقونات ولكنه لم يندفع في تنفيذ مقررات المجمع المسكوني اندفاع ايرينة. فالمحطمون كانوا لا يزالون كثرا اقوياء في الشيخات الشرقية. وكان لا يزال بينهم عدد غير قليل من الاساقفة والرهبان^(٢). وكان الرهبان وفي طليعتهم جماعة الاستوديون ، قد اجتمعوا على اكرام الايقونات واجمعوا على اصلاح الكنيسة والدولة واستقاموا على تطبيق القانون. وقامت فئة ثالثة من رجال الدين والدولة بتهدئة الاحوال واعادة النظام والوثام الى صفوف الدولة والكنيسة. وعلى الرغم من تمسك هذه الفئة باكرام الايقونات فانها اعتدت في اعمالها وتحاقت كل ما كان من شأنه ان يثير العاطفة والشقاق. وترغم هذه الفئة المعتدلة الفيلسوف نيقفوروس والبطريك طراسيوس وعدد من كبار رجال البلاط^(٣) .

وتوفي البطريك طراسيوس في الثامن عشر من شباط سنة ٨٠٦ . فرأى الفيلسوف ان المصلحة تقضي بوصول شخص الى الكرسي القسطنطيني يجمع بين التقوى والعلم واستقامة الرأي والاعتدال في آن واحد. واستعرض الرجال فلم يبق من نيقفوروس معاون السكرتير الاول في البلاط. وكان نيقفوروس هذا قد أبصر النور في العاصمة في حوالي السنة ٧٥٨ في^(٤) بيت عريق في الشرف. وكان والده ثيودوروس من رجال البلاط سكرتيراً في عهد قسطنطين

THEOPHANES, *Chron.*, a. 6290-6295; BREHIER, L., *Byzance*, 88-94; OSTROGORSKY, G., (١)
The Byz. State, 161-162.

DVORNIK, F., *Les Slaves, Byzance et Rome*, 119-121. (٢)

BREHIER, L., *Byzance*, 96. (٣)

DELEHAYE, H., *Synaxarium Constantinopolotatum*, Col. 725. (٤)

الخامس . وكان قويم الرأي يقول باكرام الايقونات فحاول قسطنطين ردعه فلم يفلح فأمر بنفيه الى قلعة بيموليسية في البونط في آسية الصغرى فتوفي فيها . ونكاد لا نعلم شيئاً عن والدته اذوكية . وجل ما تبقى من اخبارها انها شاطرت زوجها مشقات المنفى وانها شاهدت عظمة ابنها ولجأت الى احد الاديار^(١) . ونشأ نيقيفوروس في ظل القصر فدرس في مدرسته واتفق اللغة اليونانية وآدابها ثم العلوم كالفلك والهندسة ثم الفلسفة . ولا نعلم متى شرع في درس اللاهوت ولكن مصنفاته تظهر تضلعه ورسوخ قدمه في هذا العلم ايضاً . والتحق نيقيفوروس بالمعية السنية فخدم برتبة سكرتير معاون يأتمر بإرشادات طراسيوس السكرتير الاول الذي أصبح بطريركاً مسكونياً فيما بعد^(٢) . وكان معتدلاً معتزلاً فتمكن من التوفيق بين استقامة رأيه في العقيدة وبين سياسة البلاط . وتدل اعمال المجمع المسكوني السابع ان نيقيفوروس قام بمهمات معينة لدى الآباء المجتمعين في نيقيه فهو الذي قدم غريغوريوس اسقف قيصرية الى المجمع باسم الفيلسوف وهو الذي قرأ رسالة البابا اديانوس الى الفيلسوف امام المجمع ولعله هو الذي نظم هاجياً المحطمين لدى الانتهاء من اعمال المجمع^(٣) . ثم كان ما كان من أمر المشادة بين ايرينة وابنها قسطنطين السادس . فسم نيقيفوروس السياسة والادارة وانزل عن الناس (٧٩٧) ولجأ الى كهف في جبل مقفر يطل على بحر مرمر . وجاء في احدى رسائل نيقيفوروس نفسه انه رأى ان لاخلص بدون انزال فابتعد وتكشف وعكف على الابتهاج والتأمل^(٤) . ولا يجوز القول انه تحلى بالاسكيم في هذه الآونة لان المراجع تذكر تربه قبيل ارتقائه الى السدة البطريركية المسكونية^(٥) . وفي حوالي السنة ٨٠٢ وعلى اثر سقوط ايرينة أكره نيقيفوروس على الخروج من عزلته ليتولى ادارة بيت الفقراء في القسطنطينية . فتولى نيقيفوروس ادارة هذه المؤسسة الخيرية وظل يدبر شؤونها حتى تم انتخابه خلفاً لطراسيوس البطريرك المسكوني^(٦) .

ورقد طراسيوس بالرب في الثامن عشر من شباط سنة ٨٠٦ . فشاور الفيلسوف نيقيفوروس

(١) IGNATIUS DIACONUS, *Vita Nicephori*, 143.

(٢) *Theodorus Studita*, P.G., Vol. 99, Col. 1174.

(٣) *Vita Tarasii*, (Heikel), 397.

(٤) *Mansi*, XII, Col. 1055, XIII, Col. 459; *Vita Nicephori*, 147; ALEXANDER, P.J.,

Patriarch Nicephorus, 60-61.

(٥) *Epist. ad Leonem*, P.G., Vol. 100, Col. 173 f; *Vita Nicephori*, 148.

(٦) ALEXANDER, P.J., *op. cit.*, 62-63.

(٧) *Vita Nicephori*, 152; JANIN, R., *La Geog. Ecc. de l'Empire Byzantin*, III, 581 f.

الاعيان وكبار رجال الاكليروس في أسر الخلف مؤكداً انه يؤيد مرشح الاكثوية الملمحة من الله^(١). فكتب ثيودوروس الاستوديقي الشهير الى الفسيلفس بأسف ان ليس هنالك مرشح كامل الصفات. وأضاف انه يجب التفتيش عن شخص تدرج في الكهنوت تدرجاً طبيعياً. فاما ان يكون اسقفاً واما ان يكون رئيس دير او عمودي او حبيس او اكليريكي يستطيع معاونة الذين يعنون في التجربة^(٢). ولم يرشح ثيودوروس نيقيفوروس ولم يرضَ عن ترشيحه. وماشى ثيودوروس في هذا كله نسيه بلاطون السكونديوني. واولاً الى ثيودوروس مرتبياً ترشيحه^(٣). ولم يُجمع الآباء والاعيان على مرشح واحد. ولم يفر احد باكثوية ملهوسة فرشح الفسيلفس سيمه نيقيفوروس رئيس المؤسسة الخيرية. ووافق جمهور الاعيان والآباء على اقتراح الفسيلفس فتم انتخاب نيقيفوروس بطريركياً مسكونياً في اوائل نيسان. ومانع نيقيفوروس كثيراً ثم خضع لارادة الرب وعاهد الله والكنيسة ان يكون الراعي الصالح والاسقف الامين. وقدّم النذر ولبس الاسكيم في الخامس من نيسان في دير القديسين سرجيوس وباخوس. وفي التاسع من الشهر نفسه سم شماساً في المقر البطريركي ثم كاهناً في العاشر منه في يوم الجمعة العظيمة. وأعلن البطريرك المنتخب ايمانه فجاء ارثوذكسياً. وفي يوم عيد الفصح سم اسقفاً ثم نُصّب بطريركاً في كنيسة الحكمة الالهية^(٤). وحرر نيقيفوروس رسائل الجلوس وبعث بها الى بطاركة الاسكندرية وانطاكية واورشليم. ولكنه امتنع عن اعلام بابا رومة تزولاً عند رغبة سيمه الفسيلفس. فالبابا لاوون الثالث كان قد ارسل الفيكسيلوم vexillum علم رومة الى كارلوس لمناسبة ارتقائه السدة الرومانية في السنة ٧٩٥ بدلاً من ارساله الى القسطنطينية. وكان قد لجأ الى الافرنج ايضاً عند تأزم الحالة في رومة سنة ٧٩٩. وفي السنة ٨٠٠ كان هذا البابا نفسه قد توج كارلوس امبراطوراً. وكان قد ماشى كارلوس والبابا ادريانوس فاعتبر المجمع المسكوني السابع مجعاً محلياً لا مسكونياً. وفي السنة ٨٠٦ عندما رقي نيقيفوروس السدة القسطنطينية كان نيقيفوروس الفسيلفس في حالة حرب مع كارلوس فامتنع البطريرك عن ارسال رسالة الجلوس الى البابا لان الفسيلفس نهاه عن ذلك. فلما سقط الفسيلفس في ميدان القتال في السنة ٨١١ عمل نيقيفوروس البطريرك بالتقليد الكنسي واعلم اخاه جبر رومة بارتقائه

Vita Nicephori, 153 f. (١)

THEODORUS, P.G., vol. 99, col. 960—961 (٢)

ALEXANDER, P.J., *op. cit.*, 67. (٣)

Vita Nicephori, 157; COTLIARCUIC, N., *Die Besetzungsweise des Patriarchalstuhles von* (٤)

Konstantinopel; ALEXANDER, P.J., *op. cit.*, 68—70.

الكرسي القسطنطيني^(١) . ويلاحظ هنا ان السيد ميخائيل متروبوليت عمان وشرق الاردن على الروم الكاثوليك قد تسرع فقال في السنكسار تحت الثاني من خزيان: « ان اول عمل اتاه نيقيفوروس كانت تلك الرسالة التي بعث بها الى الحبر الاعظم البابا لاوون الثالث » .

ومع ان نيقيفوروس اخمد ثورات داخلية عدة فانه لم يوفق في **الفضيلس وابنه ومصره** : حروبه الخارجية . فالرشيد احتل في السنة ٨٠٦ تيانة وجعلها قاعدة لاعماله الحربية وغزا رودوس في السنة ٨٠٧ . وفي السنة ٨١١ سقط نيقيفوروس في ميدان القتال ضد البلغاريين فقطعوا رأسه واتخذوا جمجمته كأساً وجرح ابنه ستوراقيوس وتوفي . فتولى العرش بعده صهره ميخائيل الاول رنغابيس زوج بروكوبية بنت نيقيفوروس . وكان هذا لطيف المشرم معجباً بالربان فأبعد عن الوظائف جميع اعداء الايقونات فأثار غضبهم ودفع بهم وبمن قال قولهم الى التآمر . وكان المهاجرون الشرقيون الذين نقلوا من الولايات المتاخمة لحدود العرب الى العاصمة وتراقية لا يزالون يقولون اقوالاً لم تقرها المجامع المسكونية . فشن البطريك نيقيفوروس حرباً على هؤلاء . وقادى في التسوية فعاتت المشادة الدينية الى ما كانت عليه من قبل .

لاوون الخامس الارمني : (٨١٣—٨٢٠) وكانت الحرب البلغارية لا تزال ناشبة . ووصلت طلائع البلغار الى اسوار ادرينوبل . فأعد ميخائيل الاول جيشاً وزحف به الى الجبهة في ايار السنة ٨١٣ فدارت الدائرة عليه وانهزم فنادى الجند بلاوون الارمني ، احد كبار القادة فيهم ، فيسلفساً . فتنازل ميخائيل وترهب .

وأقسم لاوون بين الولاة للكنيسة . وقطع وعداً بان يحافظ على عقائدها ومصالحها . ولكن جنوده كانوا آسيويين لا يحترمون الايقونات وكان هو وصولياً في سياسته . فلما استتب له الامر وتخلص من خطر البلغار نكث يمينه ونبذ عهد الولاة للكنيسة . وكان مراوغاً مداوراً فبث بادي ذي بدء ان ما حل بالدولة من ضعف وما احدث بها من خطر انما نشأ عن العودة الى تكريم الايقونات . ثم عين لجنة لجمع ما جاء من اقوال الثقات في تأييد التحطيم . وتألقت هذه اللجنة من شيوخ من مجلس الشيخ ومن انطونيوس اسقف سيلايوم ومن القارئ يوحنا الكاتب ومن الراهبين لاوندوس وزوسياس^(٢) . وأهم هؤلاء . واكثرهم نشاطاً

Epist. ad Leonem, P.G., vol. 100, Col. 196—197; GRUMEL.Reg., 382; ALEXANDER, P.J., (١)

op. cit., 101—110.

Theosterictus, Vita Nicetae, Acta Sanctorum, Aprilis 1, App. col. 29 ff. (٢)

القارئ يوحنا الكاتب^(١). وعملت هذه اللجنة مجد ونشاط فاعدت مجموعة عرفت بالانثولوجيون وجاء معظمها من اعمال مجمع التحطيم مجمع هيرية^(٢).

(٨١٤) وفي حوالي منتصف كانون الاول من السنه ٨١٤ استدعى **دفاع نيففوروس ورتبه** : الفيلسوف لاوون البطريك نيقفوروس الى القصر وقال له ان الشعب يرى ان ما حل بنا من ضعف انما نشأ عن تكريم الايقونات. فهل لك ان تتدبر هذا الامر فتدفع الايقونات القريبه من تناول المؤمنين^(٣) ؟ فامتنع البطريك ورفض الدخول في بحث لاهوتي مع لجنة لاوون . وعاد الى مقره وجمع عدداً من رجال الاكليروس والشعب ونقل اليهم رغبة الفيلسوف ورجا الله أن يجيب أمل الفيلسوف ويحبط مساعاه فغضب الفيلسوف وأنفذ جماعة من الجند فرجوا ايقونة السيد فوق باب خالكي ثم تدخل هو فأمر برفع هذه الايقونة لصيانتها . فاقض هذا العمل مضجع الآباء. فتجمعوا في دار البطريكية في الرابع والعشرين من كانون الاول سنة ٨١٤ . وقام البطريك فيهم خطيباً فقرأ على مسامعهم الانثولوجيون الذي اعدته لجنة الفيلسوف وقتده تفصيلاً. ووافق المجتمعون على موقف البطريك ووقعوا عهداً على انفسهم الا يفترقوا وان يتحملوا عذاب الموت دفاعاً عن الايقونات^(٤) وكان بين هؤلاء افيميوس رئيس اساقفة ساردس واميليانوس متروبوليت كيزيكوس ويوسف تسالونيكية وافذوكسيوس العمورية وميخائيل سينادة وثيوفيلاكوس نيقوميذية .

وفي صباح عيد الميلاد توجه البطريك واعوانه الى القصر بناء على دعوة الفيلسوف . فاستدعى الفيلسوف البطريك اولاً ووجه اليه اسئلة لاهوتية امام اعضاء اللجنة الملكية تتعلق بموقفه من الايقونات . فأجاب عنها كلها^(٥) . وظلت المشكلة قائمة . ثم استدعى الفيلسوف جماعة البطريك وادخل الى الردهة عدداً من رجال البلاط بزياتهم الرسمية وسيوفهم . فالتحذت الجلسة شكل نزاع بين الدولة والكنيسة . وعاد الفيلسوف فذكر جماعة البطريك بموقف الشعب من الايقونات واكد احترامه لها ولكنه رجا الآباء ان يبحثوا مع زملائهم قضية الايقونات لعلهم يتوصلون الى حل يرضي الجميع . فقال اميليانوس متروبوليت كيزيكوس :

ALEXANDER, P.J., *Nicephorus*, 235 f. (١)

Scriptor Incertus de Leone Armeno, P.G., vol. 108, col. 1025. (٢)

GRUMEL, Reg., 390; BREHIER, L., *Sur un texte relatif au début de la querelle Iconoclaste*, (٣)

Echos d'Orient, 1938; MARTIN, E.J., *op. cit.*, 31, 165.

GRUMEL, Reg., 391. (٤)

Vita Nicephori, 167 ff. (٥)

« نبحث امور الكنيسة بالكنيسة ». فذكره الفيلسوف انه هو ايضا ابن الكنيسة وانه سيضفي الى اقوال الطرفين ثم يحكم بالحق . فقال ميخائيل سيناذا : « اذا كنت وسيطاً فلماذا تحمي احد الحُصين في قصرك ؟ » واطاف بطرس نيقية : « وكيف نجادل هؤلاء وانت معهم ؟ فانك لو حمت المانويين لتغلبوا علينا » واخيراً قال ثيودوروس الاستوديقي قوله المأثور : « لا تعكر صفاء الكنيسة فالرسول قال : « وهو الذي اعطى بعضاً ان يكونوا رسلاً وبعضاً انبياءً وبعضاً مبشرين وبعضاً رعاة ومعلمين منظماً هكذا القديسين لاجل عمل الخدمة في سبيل بنيان جسد المسيح ». ولكنه لم يذكر الاباطرة ! وقد سلم الله تعالى اليك مقاليد الدولة والحليش . فاعتن بها واترك الكنيسة لرعاتها ومعلميها . واذا كنت لا ترضى فاننا لا نصفي الى ما تقول ولو نقله الينا ملاك من السماء . »^(١)

فغضب لاوون ولكنه امسك وتربص . فامتنع اولاً عن اكرام الايقونات يوم عيد الظهور . ثم استمال عدداً من كبار رجال الاكليروس الذين كانوا قد قطعوا المهد على انفسهم ليلة عيد الميلاد الا يفترقوا وان يتحملوا عذاب الموت دفاعاً عن الايقونات محاولاً بذلك عزل البطريرك وتجريده من اعوانه^(٢) . فكتب البطريرك الى الفيلسفة راجياً تدخلها لدفع الاذى . وكتب بالمعنى نفسه الى احد كبار رجال البلاط . فاوفد الفيلسوف عدداً من الاساقفة المحطمين الى البطريرك ليختاروا البطريرك بين البقاء على السدة وبين رفع الايقونات القرية من متناول المؤمنين . فأبى البطريرك . فكتب الفيلسوف اليه يقول : « استقل لان الكنيسة ليست في حاجة اليك » . فاجاب البطريرك : « ايها الفيلسوف اني لا استقبل من تلقاء نفسي لاني لم افضل شيئاً يوجب الاستقالة . ولكن اذا اكرهتني على التنازل لاني قويم الرأي تقمي او ارسلت من يكرهني على ذلك فاني اتنازل »^(٣) . فعين الفيلسوف توما البطريرك سكيروفيلاكساً واوز الى الاساقفة المحطمين ان يلتصقوا مجعاً وينظروا في قضية البطريرك ويتزولوه تزيلاً . فتجمعوا وذهبوا الى دار البطريركية وقرأوا قرارهم امام البطريرك . فاعتبر البطريرك عملهم غير قانوني واكد ان ادانته لا تجوز الا على يد انداده كبابا رومة او احد البطاركة الآخرين . فخرج الاساقفة من الدار البطريركية وهتفت الجماهير بسقوط جومانوس وطراسيوس ونيقيفوروس . وحاول بعضهم قتل البطريرك فلم يفلحوا . فاستقال البطريرك وخرج من

Vita Nicephori, 187; *Vita Nicetae*, *op. cit.*, App. col. 29 f.; METROPHANES, *Life of Euthymios* (١)

of Sardis, Chalki, fols. 226—251; EHRHARD, A., *Überlieferung und Bestand*, I, 909—512;

ALEXANDER, P.J., *op. cit.*, 130—132.

Vita Nicephori, 189. (٢)

GRUMEL, *Reg.*, 399; *Vita Nicetae*, col. 30. (٣)

الدار البطريكية في اليوم الاول من الصوم الكبير سنة ٨١٥ . فنفي عبر البوسفور الى خريسوبوليس^(١) .

مجمع الحكمة الالهية : (٨١٥) وفي غد اليوم الذي نُزِلَ فيه نيقيفوروس دعا الفيلسوس السيلانتيون الى جلسة في قصره . وبعد ان اعلن استقالة نيقيفوروس طلب الى اعضاء السيلانتيون ان ينتخبوا يوحنا الكاتب خلفاً لنيقيفوروس . فاعترض البطارقة ميين صفر سنة ودخل اصله . فرشح الفيلسوس ثيودوتوس ابن البطريق ميخائيل ميليسينوس . وكان لطيفاً فاضلاً^(٢) .

وفي نيسان هذه السنة نفسها عقد الفيلسوس مجعاً محلياً في كنيسة الحكمة الالهية . فترأس الجلسات البطريك الجديد ثيودوتوس وناب عن الفيلسوس ابنه سيمباتيوس . وتألف المجمع من الاساقفة المحطمين ومن زملائهم الذين انحازوا اليهم بعد المشاورة بين لاون ونيقيفوروس . وقرئ الاثولوجيون في الجلسة الاولى ثم تبنت مقررات مجمع هيرية (٧٥٤) . وبحث الآباء . في الجلسة الثانية نقاط الخلاف بينهم وبين زملائهم الارثوذكسين . ثم ادخلوا بعض هؤلاء الى قاعة الجلوس وحاولوا اقناعهم بوجوب التحطيم . فلم يذعنوا فضربوا ضرباً ورفسوا رفساً . وفي الجلسة الثانية قرئ الاوروس بحضور الفيلسوس نفسه ووقع^(٣) .

توبس وضغط واضطهاد : وشوق الفيلسوس والبطريك تشويقاً . فلم يطلبوا بادي ذي بدء سوى الاعتراف ببطريكية ثيودوتوس والاشترك معه في الخدمة . فقد جاء في بعض المراجع ان البطريك الجديد ناول الرهبان في كنيسة حافلة بالايقونات ولعن كل من لا يكرم ايقونة السيد^(٤) . واكد يوحنا الكاتب الى احد رؤساء الاديار أن الفيلسوس يكرم الايقونات وانه هو ايضاً يحترمها^(٥) .

واكتفى لاون الخامس ، فيما يظهر ، بنفي الاساقفة والرهبان ومجسهم . فنفي البطريك

ALEXANDER, P.J., *op. cit.*, 134—135. (١)

Scriptor Incertus, P.G., vol. 108, col. 1036. (٢)

ALEXANDER, P.J., *op. cit.*, 137—140.; SERRUYS, D., *Les Actes du Concile Iconoclaste de l'An 816, Mélanges d'Arch. et d'Hist.*, Éclou Franc. de Rome, 1903, 345—351. (٣)

Vita Nicitae, Col. 31. (٤)

Sabas, Vita Macarii, Anal. Boll., 1897, 155. (٥)

الى دير الاغاثن بالقرب من خريسوبوليس ثم نقله الى دير القديس ثيودوروس^(١). وبقى البطريرك في هذا الدير حتى وفاته في السنة ٨٢٩. وليس لدينا من المراجع ما ينبئنا باخبار البطريرك في منفاه. وقد يجوز القول ان طعامه كان كافياً وان كتبه كانت متنوعة وانه كتب وصنف^(٢). ونفى لاوون ثيودوروس الى قلعة في بيثينية ومنع الاتصال به. ثم نقله في السنة ٨١٩ الى ازميز. فبقي مسجوناً فيها حتى وفاته في السنة ٨٢٦. وكتب من سجنه يشدد عزائم الرهبان واستثاب ببابا رومة وبغيره من البطاركة^(٣). ولجأت السلطات الى الجلد والتسخير في بعض الاحيان. ولم يستشهد من الاستوديين اشد الرهبان مقاومة للسلطات سوى القديس تادايوس^(٤). ولولا حماس القديس ثيودوروس واندفاعه في التبشير بالارثوذكسية والتنديد بالتحطيم لما اقدم لاوون على التضييق والضغط^(٥).

ويلاحظ ان التشديد في التحريم والتحطيم لم ينحصر في هذه الدورة الثانية في عاصمة الدولة كما ارتأى العلامة البريطاني بيوري وغيره من رجال البحث^(٦). فرسائل القديس ثيودوروس والقديس نيقيفوروس تبين ان التشديد حل في طول الدولة وعرضها^(٧). ويلاحظ ايضاً ان القول بالتحريم والتحطيم لم ينحصر في اوساط الاساقفة في هذه الدورة بل تعداها الى الاديرة فقال به هذه المرة اصحاب الاموفوري وحاملو الاسكيم^(٨).

(٨٢٠) واشرك لاوون الخامس ابنه في الحكم. ولكن رفاقه في الاسرة العمورية: السلاح الذين أوصلوه الى العرش، وفي طبيعتهم ميخائيل العموري، لم يرضوا عن سياسته ومسلكه فتآمروا عليه. واكتشف لاوون هذه المؤامرة وقذف بميخائيل الى السجن ولكنه ترك شركاءه احراراً. فاسرع هؤلاء. وضربوا ضربتهم فهجموا على لاوون وهو في كنيسة الخاصة يصلي صلاة التوبة. فذبحوه على مقربة من المذبح واخرجوا ميخائيل العموري من سجنه وتوجهه فسيلفساً. فصار ميخائيل الثاني الاثني (٨٢٠ - ٨٢٩) .

PARGOIRE, J., *A Propos de Boradion*, Byz.Zeit., 1903, 496 f.; JANIN, R., *l'Eglise Byz.*, (١)

Rev. Etudes Byz., 1954, 69—99.

PHOTIUS, *Ep st.*, P.G., vol. 102, col. 768. (٢)

Vie de Saint Georges d'Amastris, 110—136; *Theodorus Studita, Epist.*, II, 15. (٣)

VORST. CHR. VAN DE, *S. Thaddée Studite*, Anal. Boll., 1912, 157—160. (٤)

ALEXANDER, P.J., *op. cit.*, 145—146. (٥)

BURY, S.B., *East Rom. Empire*, 141; MARTIN, E.J., *op. cit.*, 174. (٦)

ALEXANDER, P.J., *op. cit.*, 142—144. (٧)

Theodorus Studita, Epist., II, 14. (٨)

وأصد ميخائيل امراً منع فيه كل مشادة حول الايقونات .
ميخائيل الاثع والابفومات : واستدعى من المنفى جميع المبعدين بسبب ذلك . واستقبل
 ثيودوروس الاستوديبي في قصره واكد له حرية العبادة . وقال لنيقيفوروس البطريك : ليس
 لي ان ابتدع في الايمان ولا ان اجادل في التقاليد الموروثة او ان انتقضا^(١) . ولكنه قبل ان
 يتسنى له شيء من هذا اضطر ان يجابه ثورة مخيفة تطورت فايدها بعض المكرمين . فان توما
 احد رفاقه في السلاح طمحت نفسه الى الملك فسعى في ارمينية والبنوط منذ اواخر عهد
 لاوون . فلما قتل لاوون ادعى توما انه قسطنطين السادس ابن ايرينة فالتف حوله مكرموا
 الايقونات . ورأى المستضعفون من سكان آسية الصغرى في توما محرراً فدخلوا في حزبه
 « فرفع الخادم يده في وجه سيده والجندي في وجه قائده والقائد في وجه اميره »^(٢) . وتفاقم
 توما والمأمون فأمدّه هذا بجيش قوي وأمر ايوب البطريك الانطاكي ان يرسم توما فيلسفاً
 ففعل^(٣) .

ونهب توما بجيشه الى بر الاناضول وانتصر على جيش الفيلس . فأسرع ميخائيل الاثع
 فاستدعى اليه زعماء القائلين بتكريم الايقونات وحاول اقرار السلام الديني بمؤتمر في القصر .
 ولكن ثيودوروس الراهب رفض الاجتماع مع المحطمين . وقصد توما القسطنطينية في اواخر
 السنة ٨٢١ وبدأ حصارها براً وبحراً . وكان قد احاط نفسه بالمسلمين وجاء منهم بعدد كبير
 فضعفت الحماسة له في اوساط المكرمين . ورفع ميخائيل علم الحرب على كنيسة سيدة بلاخنة
 وترأس ابنه ثيوفيلوس موكباً رافعاً الصليب وردداء العذراء . فالتف حوله المحطمون والمكرمون !
 ثم اتفق ميخائيل وامورتاج خاقان البلغار فأصبح توما امام عدوين . وانحاز قسم من جيشه الى
 الفيلس فارتد الى اركاذيوبوليس . فحصره ميخائيل فسلم اليه في خريف السنة ٨٢٣ فقتله^(٤) .
 ونزل المسلمون في جزيرة كريت (٨٢٦-٨٢٧) وثار يوفيسيوس الصقلي وفاوض الاغلبة
 في شمال افريقية . وحاول ميخائيل الاثع انتزاع جزيرة كريت من يد المسلمين فانفذ اليها
 حملة في السنة ٨٢٨ واردها بمجملته اخرى في السنة ٨٢٩ ولكن جهوده لم تثمر .

GELZER, H., *Abriss der Byz. Kaisergeschichte*, 967; TERNOVSKY, F.A., *Graeco-Eastern* (١)

Church, 487; DOBROKLONSKY, A., *Theodore the Confessor*, I, 849.

THEOPHANES, *Cont.*, 53. (٢)

MICHEL LE SYRIEN, III, 57. (٣)

THEOPHANES, *Cont.*, 50 ff.; VASILIEV, A.A., *Byzance et les Arabes*, I, 49 ff.; OSTRA-

GORSKY, G., *Byz. State*, 180-183.

ثيوفيلوس الاول: (٨٢٩-٨٤٢) وتوفي ميخائيل وفاة هادئة . فتولى الحكم بعده ابنه ثيوفيلوس . وكان هذا الفيلسوف رجل حرب فقاد جيوشه بنفسه وحرز بعض الانتصارات . وفي الوقت نفسه كان رجل ادارة وتدبير فترك في الحزينة عند وفاته ما يعادل مليون ليرة ذهبية . ويختلف المؤرخون في موقفه من الايقونات . فبعض يرى فيه عدواً وبعض يراه معتدلاً مقتصرًا في اجراءاته على العاصمة وضواحيها^(١) . والواقع انه رغم تعلقه بالسيدة العذراء . وبالقدسيين فانه اتخذ له مستشاراً عدواً للايقونات وهو العالم الشهير يوحنا الكاتب . ثم جعل من صديقه هذا بطريكاً مسكونياً^(٢) . وكوي كفي العازر الراهب « المصور » بالحديد الحامي . وجلد ثيوفانس واخاه ثيودوروس الراهبين الفلسطينيين ووسم جبينها بابيات من الشعر نظمها هو نفسه^(٣) .

اسارة ثيودورة وعصا القوة: (٨٤٣) ومرض ثيوفيلوس بداء الزحار وحضرته الوفاة . فحزنت ثيودورة الفيلسفة وتألّت جداً . ثم رأّت زوجها في منامها يُجلد في حضرة السيدة والدة الاله والملائكة . فاستيقظت فسمعت ثيوفيلوس يصرخ : « ويحي انا الشقي فاني أُجلد من اجل الايقونات » . فوضعت ثيودورة فوقه ايقونة السيدة وتوسلت اليها . ورأى ثيوفيلوس انساناً حاملاً حجاباً عليه صورة المسيح فاخذته وصافحه . فهدأ حاله وشفى حلقه وفمه . فاستيقظ معترفاً باكرام الايقونات . (التريوديون - احد مستقيمي الرأي) .

وتوفي ثيوفيلوس في العشرين من كانون الثاني سنة ٨٤٢ . وخلف خمس بنات وابناً ذكراً هو ميخائيل الثالث (٨٤٢-٨٦٧) . واذا كان ميخائيل هذا لا يزال في السادسة من عمره فان الملك الراحل جعل زوجته ثيودورة وصية على الملك القاصر . وعاونها في الوصاية مجلس تألف من كبار رجال الدولة .

وكانت ثيودورة من محبي الايقونات . وكانت موجة التحطيم قد خفت وتضاءلت . فدعت ثيودورة الآباء الارثوذكسين الى مجمع ليحلّ ثيوفيلوس زوجها من خطيئته في اضهاد من كرم الايقونات . وطلبت الى البطريرك يوحنا الكاتب ان يشترك في اعمال هذا المجمع فأبى . فغزله مجلس الوصاية وأقام مثوذوس المتأرف بطريكاً محله . وصدّق المجمع اعمال المجمع

BURY, J.B., *East Rom. Emp.* (١)

ALEXANDER, P.J., *op. cit.*, 235-236. (٢)

VASILIEV, A.A., *Byz. Emp.* 286; OSTROGORSKY, G., *Byz. State*, 186. (٣)

السابع المسكوني . وفي الاحد الاول من الصوم الكبير في الحادي عشر من شباط (لا اذار) سنة ٨٤٣ دعا البطريك الشمب والاكليروس الى كنيسة الحكمة الالهية . وحضرت ثيودورة مع ابنها . ورفعت الايقونات المقدسة والصلبان الموقرة والانجيل الشريف وخرج الجميع الى المكان الذي كان يدعى ميليون صارخين : « يا رب ارحم » . ثم عادوا الى الكنيسة واكلوا القديس الالهى وعلقت الايقونات وفرز الاضداد . وأصبح هذا اليوم وما زال عيداً سنوياً لرفعها وانتصار الرأي الارثوذكسي . وأصدر البطاركة الثلاثة خريستيفوروس الاسكندري وايوب الانطاكي وباسيليوس الاوروشليمي بياناً مشتركاً اوجبوا به حماية الايقونات وتكريمها^(١) . ولا تزال نصلي ونرتل لهذه المناسبة فنقول : « ايها السيد الغير المحصور بطبيعتك الالهية لقد تنازلت ان تتجسد في آخر الازمان وان تكون محصوراً لانك باتخاذك البشرية اقتبلت ايضاً جميع خواصها . فلذلك نرسم شكل تماثلك ونصافحه بالنظر الى الاصل متسامين نحو محبتك مستترفين منها نعمة الاشفية تابعين لتقليد الرسل الالهى » . تريوذيون : احد استقامة الرأي .

VASILIEV, A.A., *Byz. Emp.*, 287; BOOR, C. de, *Der Angriff der Rhos auf Byzanz*, Byz. (١) Zeit., 1895, 449-453; LOPAREV, C., *Hagiography*, Rev. Byz., 1916, 172.

الفصل السادس

ثيودوروس ونيقفوروس واستقامة الرأي

ثيودوروس الاستوديني: (٧٥٩-٨٢٦) ولد في مدينة القسطنطينية في اواسط القرن
وقمادى وتاه فزهد بلاتون خال ثيودوروس واستقال من وظيفته في مالية الدولة ولجأ الى دير
السيمبولي في جبل اوليمبوس في بيثنية وترهب فيه . وفي السنة ٧٧٥ أصبح رئيسه^(١) . وكان
صحيح الايمان ناضج العلم مُحكم الرأي والتدبير فأسس في السنة ٧٨١ دير السكوديون ودعا
اليه رهباناً صادقين مخلصين . ثم ستمت شقيقته ثيوكتيسته الحياة في القسطنطينية وشاركها
زوجها فوطينوس رأياها . فقاما باولادهما ثيودوروس ويوسف وافثيموس الى بوسكيتيون بالقرب
من السكوديون وعاشوا عيشة تبه ومسكنة . واستأنس ثيودوروس بالوحشة وأخلد الى
الوحدة فلفت بذلك نظر خاله بلاتون . فأرهب بلاتون عزم ثيودوروس وحبب اليه الرهبنة
وقبله في ديره^(٢) . فمارس الحراثة والزراعة وقرأ الاسفار وكتب الآباء . فاعجب بباسيليوس
الكبير وانكب على عظاته ورسائله يعرف منها غزواً . ورجب ثيودوروس في تطبيق قوانين
باسيليوس فوافق خاله على ذلك ورقاه الى درجة الكهنوت على يد البطريرك طراسيوس ثم
جعله في السنة ٧٩٤ رئيس السكوديون^(٣) .

(١) *Vie de Saint Théodore le Studite, P.G., Vol. 99, Col. 121.*

(٢) *Ibid., Col. 121-125, 236-241; MARIN, Saint Théodore, 13 ff.*

(٣) *Vie de Saint Théodore, P.G., Vol. 99, Col. 129-133, 248-249; MARIN, op. cit., 24-25.*

واشدد نشاط ثيودوروس واتسع افقه فلم يكتب بارشاد الرهبان في الدير بل سعى لاصلاح الدولة باسرها وطالب بتعزيز المبادئ المسيحية واستقلال الكنيسة عن الدولة وحرية انتخاب الاساقفة وتطهير الكراسي من كل راسخ او مرتش. وقاوم المبطلين ودافع عن اكرام الايقونات فنفي في السنة ٧٩٥ مع رهبانه الى تسالونيكية . ثم عاد الى القسطنطينية بعودة ايرينة الى الحكم اي في السنة ٧٩٧ . ووصل المسلمون الى بيثينة فلم يتمكن ثيودوروس من الرجوع الى دير السكوديون فاقام في دير الاسترديون في العاصمة ورممه واصلحه^(١) .

وليس لنا الآن ان ننظر في طريقة ثيودوروس في الرهبنة واثرها في الحياة الرهبانية في الشرق ولا سيما في روسية^(٢) وانما نريد ان نذكر مصنفاته ولا سيما موقفه من ابطال الايقونات . ونظم ثيودوروس بالاشتراك مع اخيه يوسف رئيس اساقفة تسالونيكية معظم كتاب التريوذون الحشوعي . وكتب في اصول الايمان كتابي الكتا كيزموس الكبير والصغير فلقيا رواجاً كبيراً . وتوفي في الحادي عشر من تشرين الثاني سنة ٨٢٦ وتلاميذه حوله يرتلون المزمور : « طوبى للذين » . وتناول هو الاسرار واخذ يرتل هذا المزمور . فلما بلغ الى القول : « الى الدهر لا انسى حقوقك » أسلم الروح .

واشهر ما قال ثيودوروس في الايقونات ردوده الثلاثة على المهرطقة^(٣) وهو يستعين في هذه الردود بجميع الحجج التي تدرع بها القديسان جرمانوس القسطنطيني ويوحنا الدمشقي ولكنه يظهرها بثوب ارسطوطاليسي مدرسي اكثر بكثير من ذي قبل . فهو يعالج في رده الاول مشكلة الحصر اي حصر المسيح ابن الله فيلجى . خصمه انكار اي اساس لتصوير المسيح في الاسفار المقدسة فيجيب ان ما يصح عن النموذج وعن العلة يصح ايضاً عن المثال وعن المعلول . والفرق الوحيد انه انما يقال في الحالة الاولى على المعنى الاصلي ، اذ انه يقال بالمعنى الطبيعي ، بينما يقال في الحالة الثانية بالمعنى غير الاصلي لانه يقال بالتباس . وبالتالي يثير خصمه المبطل مسألة ما اذا كانت صورة المسيح هي المسيح ام صورته وحسب . فيجيب ثيودوروس ان المتقابلات ، اي الطبيعة والوضع والنموذج والمثال والعلة والمعلول والمسيح وصورته ، هي من حيث الجوهر والشكل والحقيقة مختلفة . فالصورة هي المسيح وصورته

DELEHAYE, H., *Studion-Studios*, Anal. Boll., 1934, 64; JANIN, R., *Eglises du Précurseur* (١)
à Constantinople, Échos d'Orient, 1938, 319.

Lettre à Nicolas, P.G., Vol. 99, Col. 940-944, 1799-1812; GARDNER Alice, *Theodore* (٢)
of Studium, 93-94; PARGOIRE, *Une Loi Monastique de Saint Platon*, Byz. Zeit., 1899, 98-101.

Antirrheticci, P.G., Vol. 99, Col. 329 ff. (٣)

معاً من حيث الشبه. وهي المسيح بالتباس وصوره المسيح نسبة. والاشارات للفاهيم المتلابسة والمقولة النسبة في صلتها بالصور، وكذلك مفاهيم التقابل والتوازي هي من الحجج الكبرى التي اعتمدها ثيودوروس وثيقيفوروس ايضاً. وهي من اصل ارسطوطاليسي واضح .

وفي رده الثاني على المهرطقة عالج ثيودوروس ما اذا كان ينبغي عبادة صورة المسيح ام لا. وهنا استمر المناقش الارثوذكسي في استخدام مفاهيم النموذج والمثال فأثبت ان المسيح نفسه يدعى المسيح بالترادف او بمعنى اصلي . اما صورته فتدعى المسيح بالتباس او بمعنى غير اصلي . ولكي يثبت ثيودوروس ان رسماً يمثل المسيح هو اولى بالعبادة من رسم يمثل الصليب ألجأ المبطل الى الاقرار ان الامثلة انما تختلف باختلاف نماذجها كما ألجأه الى اقرار ذلك في الرد الاول^(١) .

ولرد ثيودوروس الثالث شكل خاص. فالمؤلف يعلن في مطلع ما يلي: « سوف استخدم بعض الاقيسة συλλογισμος في معرض مجثي . وهذه الاقيسة ليست مركبة على طريقة ارسطو او هواه بل هي قائمة على اساس لغوي ايسط هو قوة الحقيقة^(٢) . ثم يعرب ثيودوروس عن أمله ان لا تذهب جهوده سدى عند القارى. فالعالم بوسعه ان يستخدمها كأساس لمباحث اعمق بينا المبتدئ قد يعتبرها بثابة مقدمة . ومن هنا ينطلق ثيودوروس الى تقسيم الموضوع الى اربعة « رؤوس » اي فصول . وهكذا يسم مقالته بسمة الشكل الادبي الخاص بها اي الرأس . فالرأس الاول يدور على مسألة حصر المسيح . والرد الايجابي يستند الى عدد كبير من الايخيريماة επιχειρηματα قياسياً. ويتلو واحدها الآخر تحت عنوان « يضاف الى ذلك » . وهذه الايخيريماة مقتبسة من المفاهيم الكلية في الفلسفة ومن الكتاب المقدس ومن الحريستولوجية . والبعض منها عبارة عن اعتراض للخضم يشفعه ثيودوروس بجواب او بابطال على سبيل الخلف reductio ad absurdum . ولما كانت آراء ثيودوروس الحريستولوجية تتخذ طابعاً ارسطوطاليسياً هو الطابع المتعارف منذ ايام لاونديوس البيزنطي فهذا الرأس يحفل بالاصطلاحات الارسطوطاليسية وهكذا فان ثيودوروس يدلل في الرأس الثاني على القول انه قد يكون لدينا صورة للمسيح يمكننا تأمله من خلالها فيثبت في الرأس الثالث ان عبادة

P.G., Vol. 99, Col. 360, 368. (١)

P.G., Vol. 99, Col. 389; SCHISSEL, O., "Proclus, Elements of Theology," Byz. Zeit., (٢)

1937, 113-117.

المسيح وعبادة صورته هما شي. واحد . ويقول في الراس الرابع ان للمسيح وصورته مثالا واحداً ومعبوداً واحداً^(١) .

نيقفوروس: (٧٥٨-٨٢٩) وليس لنا ان نعيد الكلام في سيرة هذا الجليل في القديسين نيقفوروس المعترف . فقد سبق الكلام في هذا الموضوع في تضاعيف هذه الرسالة . فليراجع في محله . وجل ما يجب قوله هنا هو ان نيقفوروس كان كبيراً عظيماً اشتهر بدرايته واثرائه وصبره وثباته وتفانيه في خدمة الكنيسة واستقامة رأيه .

واقدم مصنغات نيقفوروس تاريخه *Ιστορία Συντομος* وقد بدأ فيه بتاريخ مصرع الفيلسوف موريقوس في السنة ٦٠٢ ووقف عند ذكر زواج لاوون الحزري من ايرينة في السنة ٧٩٦ . وقد عرفه علماء العصور الوسطى بال *Breviarium*^(٢) . ثم عرض له ما صرفه عن التأليف فعمل في القصر أولاً ثم اعتزل هذا العمل واهمل كل شي. وانفرد متنسكاً. ثم تولى امر المؤسسة الخيرية ومنها انتقل الى السدة البطريركية .

وحين سمحت له ظروفه بالعودة الى التأليف أملى عليه ايمانه الاهتمام بمسائل العقيدة فصنف بين السنة ٨١٣ و ٨١٥ ابولوغيته الصغرى^(٣) ليردع بها من كان قد ضل من رجال الكنيسة ويرد على ضلالة الابطال . ثم اردف هذه الابلوغية في السنوات ٨١٨ الى ٨٢٠ بابولوغيته الكبرى وفيها رسائله ضد الهرطقة^(٤) . وصنف ايضاً ردّاً خصوصياً على المبطلين اسماه *Adversus Iconomachos* وأعد في السنوات ٨٢٠ الى ٨٢٨ مؤلفاً خصوصياً «لاوون الخامس» . وكتابه في دحض اوروس مجمع السنة ٨١٥^(٥) .

ومما جاء في ابولوغيته الكبرى في الرد على الهرطقة ان الايمان المسيحي يرتكز الى الكتاب المقدس واقوال الآباء وقرارات المجامع وان بعض الرهبان والكهنة المزيفين دنسوا كهنتهم وايمانهم فابوا ان يعترفوا بقرارات المجمع المسكوني السابع . واقبح اعمالهم في نظر نيقفوروس انهم يحاولون ردّ كل شخص خاضع للصولجان الروماني . وهم يضيفون الى

LADNER, G.B., *Origen and Significance of the Byz. Iconoclastic Controversy*, Med. Studies, (١) II, 127-149; ALEXANDER, P.J., *op. cit.*, 191-194.

BOOR, C. de, *Nicephori Archiepiscopi Constantinopolitani Opuscula Historica*, Leipzig, (٢) 1880.

Apologeticus Minor, P.G., Vol. 100, Col. 833-850. (٣)

Apologeticus atque Antirrhethici, P.G., Vol. 100, Col. 533-831, 205-533. (٤)

Refutatio et Eversio. (٥)

سابق مصيبتهم قول مستنبط هذا الاحاد قسطنطين الخامس ان المسيح اتخذ نفسه جسداً لا يحصر . وقد جمع قسطنطين جملاً وعبارات من التوراة واقوال الآباء تشير الى الاصنام فما لبث ان طبقها على الرسوم المقدسة . وهو الذي نفع روح الابطال في الصدور بعد ان استلهمها من الآريوسية والمانوية . وقد لا ينخدع احد بحجة التبعيد للاصنام ولكن الحجة بالآريوسية خفية مكآرة لا بد من تفنيدها . فقسطنطين الخامس استند فيها الى اقوال افسايبوس الآريوسي وبعض مقاطع من اقوال الآباء . فلم يدرك معناها . ثم ينظر نيقيفوروس في ادعاء المبطلين ان جسم المسيح لا يحصر بالتصوير *απεικονιστος* فيعالج اقوال قسطنطين الخامس جملة جملة ويرد عليها واحدة واحدة . وينتقل نيقيفوروس بعد هذا الى الاجابة عن سؤال المبطلين ما اذا كان هنالك اساس للتصوير في النصوص فيدلي بحججه الواحدة تلو الاخرى . ويشمل بحجته هذا النظر في تصوير القديسين والملائكة كما يتضمن رداً على من ادعى ان عهد قسطنطين الخامس كان عصر رخاء وهناء . فيبين فقر جمهور المبطلين ويذكر الضربات التي حلت على الشعب في عهد قسطنطين كطاعون السنة ٧٤٧ والزلازل والمجاعات .

اما كتابه *Refutatio et Eversio* فانه لا يزال بعيد المنال مخطوطاً^(١) . وجل ما ظهر منه خلاصة بالانكليزية أحقها الاستاذ بولس الكسندر بكتابه «نيقفوروس»^(٢) . وقد جاء الدحض في قسطنطينيين تضمن الاول منها نقد اوروس مجمع السنة ٨١٥ ونقد الثاني محتويات الانثولوجية التابعة . وقد ضاهى نيقيفوروس النصوص التي جمعها المبطلون ونسبها الى بعض الآباء بنصوص هؤلاء الآباء . فظهر تلاعب المبطلين وفساد استنتاجاتهم .

وكان نيقيفوروس من أولي العرفان وأهل التحصيل فحضر المنطق المدرسي وتدرع بفاهيم الكيفيات الجوهرية والخواص الدالة فرد على احجية قسطنطين الخامس ، وقد سبق تفصيلها ، باعتبارها ضرباً من التخصيص على سبيل التعميم اووافق نيقيفوروس المدرسين في تمييزهم بين التحديد بالمعنى الدقيق والرسم . وعمد الى ابطال دعوى قسطنطين في ان تصوير المسيح يؤدي الى القول باقنوم آخر في المسيح بحسب الجسد منفصل عن وجوده الالهي فطبق على صورة المسيح النتائج المنطقية التي تلزم عن كونها معنى نسبياً بالمفهوم المدرسي . وهكذا توصل الى اثبات خلاف جوهرى بين الصورة والمثال بريء عن النتائج الحريستولوجية التي استنتجها المبطلون .

(١) *Parisianus Graecus*, 1250; *Coislinianus*, 93; BLAKE, R.P., *Note sur l'Activité Littéraire* (١)
de *Nicéphore I, Patriarche de Constantinople*, Byzantion, 1939, 1-15.

ALEXANDER, P.J., *op. cit.*, 242-262. (٢)

وبالإضافة الى المنطق تذرع نيقيفوروس بعلم الطبيعة المدرسي. فكثيراً ما يشير الى مذهب السببية عند المدرسين. فالنموذج والصورة عنده بمثابة العلة والمعلول. وفي ابطاله لمزاعم خصومه اعتمد كتاب الطبيعة وكتاب ما بعد الطبيعة لارسطو. فجعل لكلمة العلة خمسة معانٍ: الفاعل والآلي والنموذجي والمادي والغائي. وهذه المعاني تصدق في نظره على المصنوعات ايضاً. وصورة المرء هي نتيجة لهذه العلة. فالعلة النموذجية لصورة المسيح هي المسيح او ماهيته. والمبتلون في نظره يرفعون صورة المسيح الجسدية فيعتبرون بعلمهم هذا صورته زائفة. وهكذا قل في سائر العلة .

مضامين الكتاب

١٩	ايقونات القرن السابع الثامن
٢٠	قسطنطين وتوما
٢٠	لاون الثالث والايقونات
٢١	لاون والرهبان والدولة
٢٢	تمهيد وتليين
٢٣	غرد الجند
٢٣	لاون والبطريرك والبابا
٢٥	الارادة السنية
٢٦	اضطهادات لاون
٢٧	رومة تستنكر وتقاوم
٢٧	لاون يضيق مدى سلطة البابا
٢٨	قسطنطين الخامس
٢٩	قسطنطين وبابا رومة
٢٩	قسطنطين يمنع ويردع

الفصل الثالث : تحريم الايقونات

وابطالها ٧٥٤-٧٧٥

٣١	التحريم
٣٣	المحرمون والصليب
٣٣	اجتهاد قسطنطين وخروجه
٣٧	مجمع المبطلين
٣٨	غيظ قسطنطين وبلاوته
٣٩	اسطفانوس الاصغر

الفصل الاول : الرسوم والصور والايقونات في القرون الاولى

٥	المبكل والبيت
٥	الكتنا كوم
٦	التصوير الديني
٦	التعبد في الكتنا كوم
٧	ايقونات الكتنا كومات
٧	كنيسة الصالحية
٨	النواويس وترويقها
٨	نقطة الانطلاق
٩	بدء المعارضة
١٠	في القرنين الخامس والسادس
١١	اكرام الصور
١٢	الاباطرة والايقونات

الفصل الثاني : الاعتراض على

الايقونات والنهي عنها واخراجها

من الكنائس ٧٢٦-٧٥٤

١٤	خلع يوستينيانوس الثاني
١٥	لاون الثالث والامويون
١٦	لاون واليهود
١٦	امس التحريم والتحطيم
١٧	يزيد اول المحطمين

- ٤٩ نيقيفوروس ونيقوفوروس
 ٥٢ الفسيلس وابنه وصهره
 ٥٢ لاوون الخامس الارمني
 ٥٣ دفاع نيقيفوروس ونفيه
 ٥٥ مجمع الحكمة الالهية
 ٥٥ تشويق وضغط واضطهاد
 ٥٦ الامرة العمورية
 ٥٧ ميخائيل الالئغ والايقونات
 ٥٨ ثيرفيلوس الاول
 ٥٨ اشارة ثيودورة وعصا القوة

الفصل السادس : ثيودوروس ونيقيفوروس واستقامة الرأي

- ٦٠ ثيودوروس الاستوديوني
 ٦٣ نيقيفوروس

الفصل الرابع : المجمع المسكوني السابع ٧٨٧

- ٤١ لاوون الخزري وايرينه
 ٤١ مواصلة بعد قطيعة
 ٤٢ البطريرك طراسيوس
 ٤٣ ردود البطاركة
 ٤٤ جلسة كنيسة الرسل
 ٤٤ جلسات نيقية
 ٤٦ كارلوس الكبير والمجمع
 ٤٧ اجتهاد بروتستانتى

الفصل الخامس : الاسرة العمورية

- وابطال الايقونات ٨١٣-٨٤٣
 ٤٨ سقوط ايرينه

أنجرت المطبعة الكاثوليكية ، في
بيروت ، طبع هذا الكتاب ، في
العاشر من شهر ايلول سنة ١٩٥٨

A study of Iconoclasm and Orthodox Sunday is particularly interesting to half a million Christians in the Churches of Antioch, Jerusalem, and Alexandria, who continue to use Greek side by side with Arabic in their prayers and who never cease to look for spiritual inspiration and guidance in the works of the Greek Fathers and the decisions of the seven Oecumenical Councils. To these Greek Orthodox and Greek Catholic Christians, the study of every aspect of Byzantine History is necessary for a correct understanding of their ecclesiastical, liturgical, and spiritual heritage. With their Semitic and Greek approach to Sacred Literature, and their modern scientific training, they must have much to say for a more correct understanding of Byzantine thought and general Christian philosophy and theology.

This little paper is a very humble effort to put together the results of European research on Iconoclasm and Orthodox Sunday. It is a pioneer attempt to place at the disposal of Arabic speaking Christians and Moslems, a scientific presentation of the problem of images in the Christian Church. It carries two messages to European scholars: Training in Greek language, literature, philosophy and theology, is not sufficient for a scientific study of Byzantine History. European centres of Byzantine studies must insist on thorough training in historical methodology. Then, in the second place, Welhausen, Lammens and other European scholars have exaggerated the liberal tendencies of Omayyad Courts. Like every other Moslem state, the Omayyad Kingdom was first and foremost a Moslem institution.

A. J. R.
Ras-Beirut
Aug. 15, 1958.

FOREWORD

This is in tribute to a hundred years of serious European scholarship in the field of Byzantine studies. It comes in Arabic to assure European scholars that the torch which they have carried for so long has already lit the way in Arab lands. The Jesuit University of Beirut, famous for its research, has not taken active interest in the field of Byzantine studies. Rev. Father René Mouterde, so famous for his research in the field of Greek epigraphy and archaeology is, however, preparing for the press a very valuable history of Syria, Lebanon, and Palestine up to the end of the Byzantine period. A scholar, a saint, and a gentleman, Father Mouterde has helped considerably to awaken interest in Greek studies in general. Three national universities, in Cairo, Damascus, and Beirut have already recognized the importance of Byzantine studies and have included such studies in their official programmes. The American University of Beirut gives one semester course in alternate years on the general history of the Byzantine Empire. Other universities in the Arab world will have to follow, and special chairs will have to be endowed for the promotion of research in these fields of knowledge. A thorough understanding of Arab thought, art, and history requires an adequate appreciation of Greek and Byzantine contributions to human culture and an exact knowledge of historical events across a contiguous border for centuries of history.

PUBLICATIONS DE L'UNIVERSITÉ LIBANAISE
SECTION DES ÉTUDES HISTORIQUES

V

ICONOCLASM
AND
ORTHODOX SUNDAY

*Paper Submitted to the Eleventh International
Congress for Byzantine Studies
September 15-20, 1958*

BY

ASAD J. RUSTUM, M. A., PH. D.

Professor of History
Lebanese National University
Beirut



BEYROUTH
1958